جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

غزوة بدر في
شعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه)
دراسة موضوعية وفنية

إعداد الدكتور

عصام حمدي عطية ضيف
مدرس الأدب والنقد
في كلية اللغة العربية بالمنوفية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف خلق الله أجمعين، وعلي آله وصحبه إلي يوم الدين...

أما بعد...

فمن المعلوم أن دعائم كتابة التاريخ متعددة حسب مستوي ثقافة الأمة التي يُكتب تاريخها، وقد تعددت مصادر كتابة التاريخ الإسلامي؛ حيث صور القرآن الكريم الكثير منه، وتمثل ذلك في وقوفه عند العديد من غزوات النبي (ﷺ) كما برز في مثل الحديث عن وقائع كان لها صدي علي الأمة الإسلامية قاطبة وعلي النبي (عليه السلام)؛ من أمثال: الإسراء والمعراج، وتحويل القبلة، و الحج وغير ذلك من الأحداث التي سطرها كُتاب التاريخ، كما أسهمت كتب التاريخ والسير في كتابة التاريخ عبر العصور والأزمان، وبما أن الأمة العربية أمة ذات فصاحة ولسان فقد شارك هذا اللسان وتلك الفصاحة في تسطير تاريخها عن طريق فنٍ ضربت فيه بسهم وافر لدرجة أن القرآن نزل متحدياً تلك الفصاحة وهذا البيان، وللشعر سمات وخصائص تجعله ينماز عن غيره من أساليب كتابة التاريخ إذ إنه يصور الحدث الجلل في عدة كلمات، لو أفرغت في كتب التاريخ لاستوعبت صفحات وصفحات، فضلاً عن أنه يضمن سهولة الاطلاع علي الحدث، مما يكتب له الخلود في الأفئدة، ولعل مما يميز الشعر عن غيره من وسائل كتابة التاريخ بالإضافة إلي ما سبق أنه ربما عرج علي بعض التفصيلات الدقيقة التي غفل عنها مدونو التاريخ.

ولو أطللنا علي التاريخ الإسلامي لوجدناه من الممكن أن يصنف علي عدة محاور منها: محور يتعلق بالعبادات والفرائض التي افترضها الله علي

المسلمين، كالصلاة والصيام والحج، وهناك أمور تتعلق بالمعاملات، وهناك ما يرتبط بأمر الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين بالسنان، وإذ انطلقنا مع الغزوات في الإسلام لوجدنا أن من أعظمها شأناً غزوة بدر الكبرى تلك الغزوة التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة، وكان للشعر نصيب موفور في تصوير العديد من أحداثها، وقد ساهم شعراء الدعوة الإسلامية في كتابة التاريخ الإسلامي منذ أمرهم النبي (ﷺ) في الدفاع عن الإسلام والمسلمين من أجل الذود عنهم ضد كفار قريش وشعرائها، وكان في صدارة هؤلاء الشعراء حسان بن ثابت (رضي الله عنه) الذي شارك في تسطير وقائعها، وتجلي ذلك من خلال العديد من القصائد والمقطوعات التي تناثرت في ديوانه، والتي استعان بها كُتاب التاريخ في كتابته، غير أن الفن ينماز عن غيره في كتابة التاريخ حيث من المفترض أن كاتب التاريخ يسطره وهو مجرد من أي هوي أو ميل لطرف علي حساب آخر، لكن الفنانين لهم نظرة تختلف عن نظرة الكتاب؛ لأن الفنان ليس معنياً برصد كل ما سطره التاريخ، وإنما له عدسته الخاصة، وعلي هذا فمنظار كاتب التاريخ يختلف عن منظار الفنان، وهذا ما حدث مع شاعرنا حسان بن ثابت، إذ بعد مطالعة شعر غزوة بدر تبين إغفاله بعض الحوادث وأغلب الظن أنه أغفلها لشيء في نفسه، وستجيب الدراسة -إن شاء الله- عن السر في ذلك، كما كان لهذا الشعر دور في شحذ الهمم وإيقاظ الحمية والحماس في نفوس المسلمين.

وبنظرة متأملة متأنية لشعر حسان حول غزوة بدر نجد أن محركات العاطفة لديه جاءت متعددة ومختلفة باختلاف زمن القصيدة وما أحاط بها من أحداث، فقد تسببت الغزوة وأحداثها في تحريك العاطفة أولاً، تلا ذلك ما قاله كفار قريش فكان ذلك مدعاة للرد عليهم من خلال غزوة بدر مع التعريج علي

بعض ما حدث فيها، وإن كنت لم أقف عند شعر الكفار مخافة الإطالة، كما أن هذا النوع من الشعر من الممكن أن يكون له وقفة خاصة في دراسة مستقلة تتبني علي الموازنة بينهما، ثم جاء المحرك الأخير متمثلاً في استصحابه بعضاً مما جري فيها بعد حقبة من الزمن؛ ويكمن السر في محاولة حسان رفع الروح المعنوية للمسلمين خاصة بعد غزوتي أحد التي انهزم المسلمون فيها، وغزوة الخندق حين تحزب الأحزاب واجتمع الكفار علي النبي والمسلمين، فكان لزاماً استدعاء نصر مؤزر للمسلمين دفعاً لزعزعة الروح المعنوية للمسلمين. ومما هو جدير بالذكر أن المعول علي التقسيمات السابقة يرجع أولاً إلي الدافع النفسي الأول لدي حسان، وعلي هذا فربما حدث تداخل بين بعض المحركات غير أن معيار الفصل ينبني علي الدافع الأول، كما وقفت مع العديد من الصور التي رسمها حسان في ثنايا المحركات السابقة، ثم تأتي الخاتمة حاملة بعضاً من سمات شعر الغزوة وخصائصه لدي شاعر الرسول (ﷺ)، أعقبها كشاف المصادر والمراجع.

غزوة بدر في شعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه)(١)

أولاً: ما قاله حسان عن بدر في زمن الغزوة

ويراد به الشعر الذي سطره عن غزوة بدر أثناء الغزوة أو بعدها بزمن يسير.

ومما جادت به قريحة حسان في غزوة بدر حيث ذكر النبي ووصف جيش المسلمين قائلاً:(٢)

---

(١) ينظر غزوة بدر في المصادر الآتية: السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ٢١٣هـ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ١٥٢/٣ وما بعدها، نشر: دار الجيل١٤١١هـ. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ٥٠/٢ وما بعدها الطبعة:الأولى، ط: دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م. الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، ١٤/٢وما بعدها، الطبعة: الثانية، ط:دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٥هـ. الدرر في اختصار المغازى والسير لابن عبد البر٣٦٨- ٤٦٣، تحقيق: الدكتور : شوقي ضيف،١٢٩/١١٠،ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة،١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. غزوات الرسول (ﷺ) دروس وعبر وفوائد تأليف الدكتور/ علي محمد الصلابى، أعده للنشر: قاسم إبراهيم عبد الله ٢٧ وما بعدها، الطبعة الأولي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د/ سيد حنفي حسنين، قدم للطبعة: د/ عبد الحكيم راضي، ٢٤٢، طبعة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٨. وشرح ديوان حسان بن ثابت، جمانة يحيي الكعكي، ٤٦، بزيادة البيتين الأخيرين، الطبعة الأولي، ط: دار الفكر العربي بيروت، ٢٠٠٣م. وهناك من نسبها لعبد الله بن الحارث السهمي؛ منهم ابن هشام،=

مُسْتَشْعِري حَلَقِ الماذِيّ يقدمُهُمْ * جلدُ النحيزة ، ماضٍ، غيرُ رعديدِ
أعْني الرّسولَ، فإنّ اللهَ فَضّلَهُ * على البريةِ بالتقوى، وبالجودِ
وقد زعمتمْ بأن تحموا ذماركم * وَمَاءَ بَدْرٍ زَعَمْتمْ غيرُ مَوْرُودِ
ثمَّ وَرَدْنا ولم نَهدِدْ لِقَوْلِكُم * حتى شربْنَا رَوَاءً، غَيرَ تَصْرِيدِ
فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتبعهُ * حتى الممات، ونصرٌ غيرُ محدودِ
مُبَارَكٌ، كضِيَاءِ البَدْرِ صُورَتُهُ * ما قَالَ كان قَضَاءً غَيْرَ مَرْدُودِ
مُسْتَعصِمينَ بحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ * مستحكمٍ منْ حبالِ اللهِ ممدود
ماضٍ على الهوْل، ركّابٌ لما قَطعوا * إذا الكُمَاةُ تَحَامَوْا في الصّناديدِ
وافٍ، وماضٍ، شهابٌ يستضاءُ بهِ * بدرٌ أنارَ على كلّ الأماجيدِ

وقد ولج حسان لموضوعه مباشرة دون تقديم، حيث رسم صورة جيش المسلمين وهم لابسون الدروع البيضاء يقدمهم الرسول (ﷺ) غير خائف ولا جبان، ثم يبين صراحة أنه إنما عني الرسول؛ لأن الله فضله علي البرية بالتقوى والجود، ثم يصور حسان بعضاً من الحوادث التي وقعت في غزوة بدر وهي زعم الكفار حماية الذمار وأن ماء بدر لن يشرب منه سواهم، ولكن أني لهم ذلك فقد ورد المسلمون البئر وشربوا حتى ارتوا، ويعود حسان ثانية لما

=حيث قال: "وَيُقَالُ بَلْ قَالَهَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْحَارِثِ السّهْمِيّ" ٢/٢٠ ولحسان قصيدة أخري ذكر فيها صدر القصيدة التي بين أيدينا، وصدرها:

من سرَّه الموتُ صرفاً لا مزَاج له * فليأتِ مأسدةً في دار عُثمانا

مستشعري حلق الماذي قد شفعت * قبل المخَاطِم بيضٌ زانَ أبدانا

ينظر: الكامل في التاريخ ٣/٧٧.

ثني الحديث عنه؛ وهو الرسول (ﷺ) ولكن بشكل آخر حيث يفتخر علي الكفار بأن النبي وسطهم، وأن الحق معهم وما دام ذلك كذلك فالنصر حليفنا حتى الممات، ومن دلائل صدقه أنه مبارك وضياؤه كالبدر، وكما صدق في بيان مصارع الكفار التي حددها قبل الغزوة؛ لذا فنحن نأوي إلي ركن شديد ومستعصمين بحبل غير منقطع؛ لأنه مستوثق بحبل من الله؛ من أجل ذلك فهو لا يهاب الهول، ولا يخشي صناديد قريش، ثم جمع حسان في بيت واحد أربع صفات للنبي (ﷺ) ختم بها قصيدته ليكون مسك الختام.

والمتأمل في القصيدة السابقة يتبدي له مجموعة من الأمور هي:

أقام حسان قصيدته علي مجموعة من الدعائم الخاصة بالمسلمين، وبعض المشاهد التي وقعت في غزوة بدر،أما الدعائم فهي: وصف جيش المسلمين، بيان أسباب تفضيل الله لرسوله، نعت النبي بمجموعة من الصفات، افتخار الأنصار بأن النبي معهم وفي وسطهم، تأكيد أنهم علي الحق وأنهم مؤيدون من قبل الله (ﷻ)، وبالنظر إلي هذه الدعائم يمكن القول إن حسان الذي لم يحارب بالسنان قد قيضه الله لخوض حرب ضروس باللسان تمثلت في حرب نفسية علي الكفار؛ لأن فئةً هذا حالها لابد أن تنتصر بإذن الله، وكأني بحسان يريد بث الزعزعة في نفوس الكفار في المستقبل؛ لذا لم يكتف بما وقف عنده من الدعائم حيث امتد حديثه ليعضده بالدليل؛ وقد تمثل ذلك في ذكر حادثتين من حوادث الغزوة؛ الأولي منهما وقعت قبيل نشوب المعركة، بينما جاءت الأخرى متعلقة بما قبل المعركة، وما حدث فيها، ومطابقة ذلك لما بعدها، أما الأولي فتتمثل في قصة الأسود المخزومي الذي عاهد الله ليشربن من حوض المسلمين قال ابن إسحاق: "وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه.فخرج

إليه حمزة بن عبد المطلب (ﷺ) فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ قدمه (أي أطارها) بنصف ساقه. وهو دون الحوض. فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد- زعم- أن يبر يمينه، واتبعه حمزة، فضربه حتى قتله في الحوض"(١) ومن المعروف أن النبي وجيشه كانوا قد غوروا كل الآبار ولم يتركوا إلا بئر بدر حتي يشرب المسلمون ولا يشرب الكفار، وذلك أخذاً بمشورة الحباب بن المنذر، وقد أشار حسان إلي ذلك من خلال قوله: "**ثم وردنا لم نهدد...**" وأما الثانية فتتمثل في بيان النبي (ﷺ) لمصارع الكفار قبيل نشوب المعركة، ثم حدوث ذلك كما أخبر النبي، وقد أوجز حسان ذلك في قوله: "**ما قال كان قضاء غير مردود**" ويتجلي انتقاء حسان لهاتين الوقعتين في ثنايا الافتخار بجيش المسلمين مع التمدح بالنبي، وكأني بحسان يقول: إن المسلمين بلغوا من قوتهم وتأيد الله لهم أن استطاعوا أن يمنعوا عن الكفار أهم مصدر للحياة ذلك هو الماء الذي كانوا يمنعونه عن المسلمين في مكة، وبلغوا من تأييد الله لهم أن توافق ما أخبر به النبي مع ما حدث بالنسبة لمصارعهم.

• بدا تركيز حسان علي بيان تفضيل الله للنبيه في أكثر من موطن، حيث قال: "**فإن الله فضله علي البرية بالتقوى وبالجود**" وفي قوله: "**مبارك كضياء البدر صورته**" وتلك إشارة من حسان أنهم علي الحق وأن الكفار علي الباطل؛ لأن الله فضل نبيه وهو معهم.

---

(١) سيرة ابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي،١٩٤/٢، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥ م.

• أرسل حسان بيتاً يحمل تبكيتاً للكفار وبين لهم من خلاله أنهم ضيعوا منحة منحها الله إياهم بمجيء الرسول بين ظهرانيهم غير أنهم لم يؤمنوا به، ويبلغ التبكيت ذروته عندما يقول لهم إن النصر حليف لنا ولا حد له، والبيت هو:

فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتبعهُ * حتى الحماتِ، ونصرٌ غيرُ مدودِ

• حملت الأبيات في أعطافها مجموعة من الصور التي ساعدت حسان في تقوية المشاهد التي رسمها من أجل تقوية عزيمة المسلمين وفت العزيمة الأخرى، مثل: قوله عن الرسول (ﷺ) "**مبارك كضياء البدر- شهاب يستضاء به- بدر أنار**"، وقوله في وصف المسلمين "**مستعصمين بحبل غير منجذم**" وتأتي براعة حسان في جعل المسلمين مستعصمين بحبل لكنه ليس حبلاً عادياً حيث نعته بمجموعة من الصفات التي تدعم استعصامهم به فهو غير منجذم ليس هذا فحسب بل هو مستحكم من حبال الله؛ لذا فلا راد له، وكأني به يوجه للكفار عدة طعنات من خلال الصفات السابقة من أجل إضعاف الحالة النفسية للكفار وتقويتها للمسلمين.

• استطاع حسان بحسه الشعري المرهف أن يقيم ائتلافاً بين البيت الأول والذي قبل الأخير والأخير؛ حيث حمل الأول وصفاً للنبي وجاء الثاني حاملاً نتيجة هذا الوصف عندما قال في الأول "**ماض غير رعديد**" ثم قوله "**ماض علي الهول**" فالوصف الثاني مترتب علي الأول؛ لأن المضي علي الهول من نتائج الشجاعة وعدم التردد، ثم يجئ الوصف الأخير متآزراً مع مجموعة من الصفات لتكوين صورة عن الرسول (ﷺ) تتمثل في كونه وفياً ماضياً، ثم شهاباً يستضاء به ويمتد الوصف حتى يصبح بدراً ينير الدنيا بأسرها.

ومما قاله حسان في تعديد قتلي الكفار وبيان مصارعهم قوله:([1])

قَتَلْنا أُمَيّا يوم بدرٍ عَنْوَةً * وبُعْداً له من هالكٍ لم يُوسّدِ

وأفلتَ منّا بعدما طال يومُه * أبيٌّ على مَوَّارة الضّبع جَلْعَدِ

وفرّ حكيمٌ خشيةً من رماحنا * على سابحٍ غَرْبٍ بعيدِ التّردّدِ

وحان أبو العاصي وعمروٌ كلاهما * وعتبةُ في أشياعِه وابن الاسودِ

وشيبة إذ يعلُوه بالسّيف مُقْدِماً * عبيدَةُ لا يألو بعَضْبٍ مُهَنّدِ

فكيف رأيتمْ يومَ بدرٍ ضرابَنا * وإقدامَنَا والخيلُ لم تَتَبَدّدِ

بكلِّ حُسَامٍ أخْلَصْتُه قُيُونه * بأيدي رجالٍ مجْدُهُمْ غيرُ قُعْدُدِ

من السّرّ من أولادِ عمرو بن عامر * ينادونكُمْ في كلّ منديً ومنتَدِي

وقد استطاع حسان بصنعة الأديب أن يجعل الأبيات السابقة أشبه ما تكون بمسرد يذكر فيه قتلي قريش، ليس هذا فحسب بل استطرد أحياناً إلي ذكر من فر منهم، كما لم ينس أن يذكر شيئاً من دور المنتصر إذ هو صاحب العرس الحقيقي.

وأول ما يستوقف الناظر في هذه النفثة القصيرة خلوها من المقدمة إذ ولج حسان إلي بغيته دون تقديم، وقد بدأ ببيان مقتل أمية بن خلف، كما دعا عليه بالهلاك والبعد، ثم انتقل لبيان اثنين من الذين أفلتوا وفروا هاربين بأنفسهم من

(١) الديوان تحقيق د/ سيد حنفي، ١٩٩.

الموت المحقق، وهم أُبيّ بن خلف الذي قتله النبي بيده في أحد([1])، وحكيم بن حزام الذي أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان إذا حلف قال: لا والذي نجاني يوم بدر([2])، تلك الكلمة التي تشي بما رآه الكفار يوم بدر، كما تدل علي أن الناجي في ذلك اليوم كمن نجا من هلاك محقق، ثم عاد حسان بعد ذلك لبيان بعض قتلي قريش يوم بدر ومنهم: العاص بن سعيد بن العاص، وأبو جهل عمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب، وشيبة ابن ربيعة الذي قتله حمزة بن عبد المطلب، وفي غمرة من قتلوا من الكفار انتقل حسان نقلة أخري افتخر من خلالها بعبيدة بن الحارث، ثم بكّت الكفار علي ضرب المسلمين لهم يوم بدر، وعلي إقدامهم بكل حسام بأيدي رجال صنعوا مجداً عظيماً، وكعادته لم ينس حسان إبراز جانب من جوانب الأنصار خص به تلك المرة أولاد عمرو بن عامر. والمتأمل في هذه الأبيات يتبدي له بعض الأمور، وهي:

١- ولج حسان إلي موضوعه دون تقديم أو تمهيد، وقد اتسمت بدايته بالقوة والشدة من خلال إخباره بمقتل أمية بن خلف، وتلك بداية تشبه الصعقة الكهربائية، ومما ساعده علي ذلك مجموعة من الألفاظ التي عبرت عن

---

(١) الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد،٢٢٩/١، الطبعة الأولى، ط: دار الفكر،١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

(٢) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لمغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم، ١١٢/٤، نشر:الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.

سيطرة المسلمين، مثل : قتلنا- عنوة- بعداً- هالك، وكلها كلمات تشي بمدي الذلة التي لحقت بأمية حتى بعد قتله.

٢- فصّل حسان بين القتلى باثنين لم يقتلا في يوم بدر، وإخال أن السر يكمن في الأول منهما، وهو أبي بن خلف؛ لأنه أخو أمية بن خلف الذي بدأ به، وكأني بحسان يقول: إن ابنا خلف بين قتيل، وجبان فر هارباً خشية الموت.

٣- لم ينس حسان دور الأنصار فبعد افتخاره بجموع المسلمين ختم بالأنصار خاصة أولاد بني عامر الذين قال فيهم:

أروني سعوداً كالسعودِ التي سمَتْ * بمكةَ من أولادِ عمرو بن عامرِ(١)

٤- يعد البيت الرابع هو عقد القصيدة حيث ذكر فيه أربعة من قتلي الكفار دفعة واحدة.

٥- صدر حسان قصيدته بأمية بن خلف؛ لأنه كان من الذين يؤذون النبي (ﷺ) في مكة.

٦- غلبة الأساليب الخبرية؛ لأن حسان بصدد إصدار بيان أشبه ما يكون بالبيان العسكري الذي يعدد من خلاله خسائر العدو.

٧- كرر حسان يوم بدر مرتين جاءت الأولي في الشطر الأول من صدر القصيدة، بينما أتت الثانية قبيل الختام ببيتين، ولعل من اللافت للنظر إلحاحه في التكرار بمعان متقاربة حيث وصفه في الأولي ب "عنوة" والأخرى بـ"ضرابنا"والضرب في الحرب لا يكون إلا عنوة، وعلي هذا فهناك امتزاج وتوفيق لشاعرنا في ذكره ليوم بدر مرتين؛ لأنه جعل الأولي

(١) الديوان، ٢٤٦.

من نصيب الكفار إذ عدد بعد المرة الأولي أحوال الكفار التي جاءت بين قتيل وفار، في حين جاءت الثانية لبيان قوة المسلمين وشجاعتهم حيث وصف الضرب، والإقدام، والخيل، والسيوف، والرجال وما حصّلوا من مجد، لكنه قبل الشروع في البيان الثاني عن يوم بدر صدره بسؤال حيث قال "**فكيف رأيتم يوم بدر...**" وللسؤال دلالتان إحداهما تتعلق بالكفار والأخرى بالمسلمين، أما الأولي فتحمل توبيخاً وامتهناً للكفار وكأني بحسان يقول لهم بعد أن يجلس كل واحد منكم إلي صاحبه ويقص عليه ما لاقه في بدر سيعرف مدي قوة المسلمين وحقيقة ما عاناه الكفار من قتل وتشريد، وأما الأخرى فتحمل تنبيهاً للمسلمين قبل البدء في بيان ما صنعه المسلمون في الكفار؛ حتى يشكروا الله علي ما أنعم.

• ومما قاله حسان بعد بدر بزمن يسير واقعة صيفي بن السائب من بني عابد المخزومي؛ الذي أسره النبي (ﷺ) فلما صار بالمدينة قال للنبي أرسلني وأبعث إليك بفداي، وأعطاه عهوداً فلم يبعث بشيء فقال حسان:(١)

سألتُ قُرَيْشاً كلَّهَا فشرَارُها * بنو عابدٍ شاه الوجُوهُ لعابدِ

إذا قَعَدُوا وسْطَ النِّدِيِّ تجاوبوا * تجاوبَ عِدَّانِ الربيعِ السَّوافِدِ

وما كان صيفيٌّ ليوفي بذمَّةٍ قَفَا ثعْلَبٍ أعيَا ببعض الموارِدِ

وقد صدر حسان مقطوعته بسؤال لقريش حتى يأخذ الحجة عليهم في حكمه الذي سيصدره بعد قليل علي بني عابد لكي لا يكون هناك راد لحكمه، لذا وجه سؤاله لقريش كلها، ومعلوم أن في مثل هذه الحالات شهادة القريب تدحض أي نفي يصدر من بقية الجهات فهي أشبه بصك مختوم لصد أي شك أو ريبة حول

(١) الديوان،٢٠٠، ٢٠١.

حكمهم هذا. وقد اندفع حسان تجاه هذا الرجل الذي حنث في وعده مع رسول الله، وأخذ الحجة من قريش علي قبيلته، ثم أخد يعد د بعضاً من صفات هذه القبيلة حتى يكون الحكم مشفوعاً بالدليل فهم إذا اجتمعوا في أي ناد تجاوبوا تجاوب التيوس السوافد، ثم يُلصق بصيفي وحده صفة عدم الوفاء لأنه كالثعلب في احتياله. والناظر في المقطوعة السابقة يجد حسان قد استطاع ببراعة أن يتدرج في الهجاء من ناحية، وأن يذكر الخاص بعد العام من ناحية أخري، أما الأولي: فقد وصف بني عامر وصفاً عاماً ربما رد عليه بعض الناس بأن هذا وصف لا دليل عليه، ثم انتقل لبيان حالتهم أثناء التحاور أو التحادث فجعلهم كالتيوس التي تنزو علي الشياه، وختم قبائحهم بما خص به صيفي حيث عرّض من خلال البيت الثالث بما صنعه مع الرسول (ﷺ)، وأما الأخرى: فقد ساق حكماً عاماً استطاع الانطلاق من خلاله حتى يصل إلي مأربه من صيفي بن عابد.

ومما قاله في يوم بدر بكاءً علي شهداء المسلمين قوله:(١)

أَلا يَا لَقَومِ هَـــلْ لِمَا حُـمَّ دَافِـعُ * وهلَ مْضَى من مْصَالحِ العَيْشِ رَاجع

تَذَكَّرْتُ عَصْرًا قَدْ مَـضَى فَتَهافَتَتْ * بَنَاتُ الحَشَا وانْهَـلَّ مني المـدَامِـعُ

صَبَـابَـةُ وَجْـدٍ ذَكَّرَتْـنِيْ أحِبَّـةً * وقَتـلَي مَضَـوْا فيهم نُفَـيْعٌ وَرَافِـعُ

وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ * مَـنَـازِلُهُـمْ فَالْأَرْضُ مِنْـهُـمْ بَـلَاقِـعُ

وَفَـوْا يَـوْمَ بَـدْرٍ لِلرَّسُوْلِ وفوقهُمْ * ظِـلاَلُ المَنَـايَا والسُيُوف الـلَّوامِـعُ

(١) الديوان تحقيق: د/ سيد حنفي،٢٤١. السيرة النبوية لابن هشام،٢/٢٧٠.

دَعَـا فأجَـابُوهُ بِحَـقٍ وكُـلُّهُـمْ * مُطِيْـعٌ لَـهُ فِي كـل أمْرٍ وَسَـامِـعُ
فَمَا بَدَّلُوْا حَـتـَّى تَوافَوْا جَمَـاعَـــةً * ولا يقْطَـعُ الآجَـال إلاَّ المَـصَـارِعُ
لأنَّهـم يَرجُــونَ مِـنْهُ شَـفَـاعــةً * إذَا لَمْ يَـكـُنْ إلاَّ الـنَّبِيّيْـنَ شَـافِـعُ
وذلِكَ يَــاخَـيْرَ الــعِبَـادِ بَلاَؤُنَـا * ومَشْـهَدُنَــا فِي الله والمـوت نَـافِـعُ
لَنَـا القَـدَمُ الأوْلَى إلـيْكَ وخَـلْفُنَا * لأوَّلِـنَـا فِـي طَـاعَـةِ الله تَــابِـعُ
ونَعْلَـمُ أنَّ المُـلْــكَ لله وَحْـــدَهُ * وأنَّ قضَـــاءَ الله لابُــدَّ وَاقـــعُ

وقد بدأ حسان قصيدته في رثاء شهداء المسلمين في بدر بحرف "ألا"الــذي يفيد التنبيه حتى يستجلب إليه الأفئدة اهتماماً لما ســيأتي، أردفــه بنــداء يفيــد التحسر، أعقب ذلك بسؤالين يجعلان صاحبهما ومن وجها له يستــسلمان لمــا سيأتي بعد ذلك، خاصة وأنه سوف يستدعي بعضاً من مواقف هــؤلاء الرجــال الذين شهدوا بدراً وكان لهم مواقف بيضاء؛([1]) لذا فلا دافع لأمر الله، كما أن ما مضي من صالح العيش لا مرجع له ثانية، و لعل هذا داعياً لأن يتذكر عــصراً قد مضى مما أدي إلي تكاثر الهموم، وهو محق في ذلك؛ لأن ذلك كان سبباً في تذكر أحبة قد قضوا نحبهم، وهم: سعد بن خيثمة الأوســي وهــو مــن الأوس، ورافع بن حارثة بن مالك بن غصب بن جشم الخزرجى، مــن بنــي حبيــب، وكلاهما استشهد يوم بدر([2]) وأما أولهم فهو "نفيع" حسب رواية الــديوان وهــو

(١) ينظر المغازي لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبــد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هــ) تحقيق: مارسدن جونس،٤٩٦/٢، نــشر:دار الأعلمــي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩هــ/١٩٨٩م.

(٢) ينظر سيرة ابن هشام،٧٠١/١.

"نفيع بن المعلى بن لوذان، أسلم قبل أن يقدم النَّبِيّ (ﷺ) إلى المدينة، فمر بِهِ رجل من مزينة حليف للأوس، فقتله ببطحان، من أجل ما كَانَ بين الأوس والخزرج، فكان أول قتيل فِي الإسلام من الأنصار، ولا عقب لَهُ"(١) هذا علي الأرجح وليس "الْحَارِثُ بْنُ نُفَيْعِ بْنِ الْمُعَلَّى."(٢) والذي يرجح كون الأول هو المقصود دون الثاني أنه أي الثاني عاش حتى سنة أربع وسبعين من الهجرة، كما أن كلام حسان يشي بأن الأسماء الثلاثة أضحوا في عداد الموتى، وعلي هذا فيكون الترتيب كالآتي: نفيع أول المذكورين مات قبل بدر، وأما رافع وسعد فماتا في بدر، إذن الترتيب عند حسان ترتيب منطقي مرتبط بأول الشهداء امتداداً حتى وصل إلي آخرهم، كما أن حسان بكي علي عصر عاش معهم فيه. ثم يمتدح حسان وفاء من شهد يوم بدر مع النبي (ﷺ) في ظل الفارق العددي والعتادي بين الجيشين، كما أثني علي عدم تبديلهم حيث أطاعوا الرسول في كل ما أمرهم به غير عابئين بالموت فلا يقطع الأجل إلا انتهاء العمر، لأنهم طامعون في نيل شفاعة الرسول حيث لا شفاعة إلا للنبيين،ثم يمهد

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق:علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود،٣٣٥/٥، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى،١٤١٥هـ- ١٩٩٤ م.

(٢) وَيُقَالُ: "أَوْسُ بْنُ الْمُعَلَّى، وَيُقَالُ: أَبُو سَعِيدِ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْمُعَلَّى، تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وستين" ينظر: الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردونى وإبراهيم أطفيش،١٠٩/١، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤ م.

حسان للختام مبيناً أن هذا ابتلاء من الله لهم، وهم وقتئذ سيكونون أصحاب القدم الأولي حتى من خلفهم تابع لأمر الله؛ لأن الملك لله وحده ولا راد لقضائه.

والمتأمل في هذه القصيدة يتبدي له بعض الأمور، وهي:

أولاً: لم يتحدث الشاعر عن غزوة بدر وما فعله الصحابة من استسلام وانقياد لأمر النبي من أول صدر القصيدة وإنما تحدث عن زمن صالح ذهب وانقضي، كما أنه لا دافع لما قدر الله. وهذا يدعونا للقول بأن حسان لم ينطلق لبغيته مباشرة عن بدر وما حدث فيها وإنما مهد لها بالحديث قضاء الله الذي لا راد له، ثم البكاء علي زمن مضي؛ لأنه بصدد تذكر مجموعة من الأحبة الذين أضحوا في عداد الشهداء.

ثانياً: صدر حسان قصيدته بمجموعة من الأساليب التنبيهية حتى يستقطب القلوب والأسماع تجاهه فقد حوي البيت الأول "**ألا**" الاستفتاحية ثم أعقبها بنداء يفيد التحسر والتعجب، أردف ذلك باستفهامين تقريرين، وكأني به يمهد النفس لأن تتذكر عصراً قد مضي وتتحسر علي عصر قادم سيخلو من الأحبة الذين سيذكرهم بعد ذلك.

رابعاً: اشتملت القصيدة علي توافق بين صدرها وختامها ولكن مع اختلاف في أسلوب العرض؛ حيث تضمن الشطر الأول استفهاماً يشي بألا دافع لقضاء الله، وقد ختم القصيدة بالمعني ذاته لكنه اعتمد علي الأسلوب الخبري المؤكد، كأن النفس في بداية القصيدة كانت تشوبها بعض الزعزعة والاضطراب مما ألجأه لاستعمال الأسلوب الإنشائي ثم لما عادت إلي صوابها وأيقنت أن قضاء الله لابد واقع استعمل الأسلوب الخبري ثم أكده للدلالة علي مدي صدقه.

خامساً: تبدي من خلال القصيدة حرص حسان علي الاحتفاء بالأنصار أكثر من المهاجرين، وقد تجلي ذلك في المقدمة البكائية التي استهل بها قصيدته

فكلها تشير إلي أناس عاشوا وتربوا معه، ثم ذكره لعدد من شهداء الأنصار دون شهداء المهاجرين.

سادساً: استعان حسان بمجموعة من الصور التي ساعدته في رسم مــشهد بكائي حزين علي زمن مضي لكنه ارتد بذاكرته متذكراً إياه من خلال تعريجــه علي العديد ممن قضوا نحبهم، وكان للكناية النصيب الأوفر والحظ الأكبر فــي رسمه مشاهد الرثاء، مثل قوله: "**صالح العيش، وبنات الحشا، ظــلال المنايــا، يقطع الآجال**"، وقد اتسمت كنايات حسان بالتعريج علي عدة أزمنة تتمثــل فــي زمن رغيد مضي وولي، وزمن تكاثرت فيه الهموم، وثالث حمل الفــراق بــين حناياه، ورابع ينبئ باستسلام وخضوع لقضاء الله.

ومما قاله في يوم بدر قوله:([1])

لقد شَقيتْ كعبٌ جميعاً وعامرٌ * بأسيـافِنـا يـوم التـَقَينَا عــلي بـدْرِ

قتلناهُمُ قتلَ الكلابِ فلـــم نَدَعْ * لهم في جميعِ النَّاس يا صاحِ من فجرِ

وقد صدر حسان بيتيه بخبر مؤكد باللام، وقد، وجميع حتى ينفي الشك عن أي نفس تتلقي هذا الخبر، ثم أردف ذلك ببيان وسائل الشقوة والتي ترجع إلي أسياف المسلمين يوم بدر، ثم أعقب ذلك بتفصيل كيف كان القتل حيث اختار من الحيوانات ما تعاف النفس منه لو رأته ميتاً فما بالنا لو كان مقتولاً وذلك كناية عن امتهان قِتلتهم، وبذلك يغلق المسلمون عليهم كل أبواب الفخر لدرجة ألا فجر بالنسبة لهم، فمن البدهي أن الحديث عن الفجر ينبئ بيوم جديد ربما طمس ما كان بالأمس لكن الأمر مختلف مع الكفار فلا فجر يلوح في الأفق بالنسبة لهم؛ لذا فحياتهم بعد اليوم بين ظلام دامس وليل لا صبح بعده، وذلك

(١) الديوان تحقيق: سيد حنفي، ١٥٤.

كناية عن شدة معانتهم وما لاقوه من سيوف المسلمين، ثم ينادي علي صاحبه بنداء الترخيم حتى يأخذ إقراراً منه بالأحكام التي ساقها. وأما الأسماء التي خصها حسان في صدر البيتين فذلك راجع إلي الحديث الذي رواه مسلم: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ: "**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ..**(١)"

كما أن عامر أخو كعب.(٢)

وقال حسان يوم بدر:(٣)

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ * غَدَاةَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ الشَّدِيدِ

بِأَنَّا حَيْنَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي * حُمَاةُ الْحَرْبِ يَوْمَ أَبِي الْوَلِيدِ

قَتَلْنَا ابْنَيْ رَبِيعَةَ يَوْمَ سَارا * إِلَيْنَا فِي مُضَاعَفَةِ الْحَدِيدِ

وَفَرَّ بِهَا حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ * بَنُو النَّجَّارِ تَخْطِرُ كَالْأُسُودِ

وَوَلَّتْ عِنْدَ ذَاكَ جُمُوعُ فِهْرٍ * وَأَسْلَمَهَا الْحُوَيْرِثُ مِنْ بِعِيدِ

لَقَدْ لَاقَيْتُمْ ذُلًّا وَقَتْلًا * جَهِيزًا نَافِذًا تَحْتَ الْوَرِيدِ

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،١٩٢/١، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) الديوان، ١٤٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ١٩/٢. الديوان تحقيق: سيد حنفي، ٢٦٥. مع اختلاف يسير في الرواية بينهما.

كُلُّ الْقَوْمِ قَـــدْ وَلَّوْا جَمِيـعًا * وَلَمْ يَلْوُوا عَلَى الْحُسَبِ التَّـلِيدِ

استطاع حسان بألمعيته الشاعرة وحسه المرهف – علي الرغم من أنه لـم يكن محارباً بالسنان– أن يلبس قريشاً ثوب الذلة والمهانة مـن خـلال سـوقه مجموعة من الحقائق التي حدثت يوم بدر؛ لذا بدأ قصيدته بجملة خبرية مؤكـدة بين من خلالها تأكد قريش مما لاقته يوم بدر، حيث لم تعرف في هـذا اليـوم سوي الأسر والقتل الذي لم يكن قتلاً فقط، وإنما هو قتـل شـديد، وكعادتـه لا يسوق حسان الأحكام دون دليل؛ لذا أسرع في سوق برهانه علي ما سبق حتى يغلق الباب علي كل معاند أو شاكٍ في كلامه؛ من أجل ذلك وصـف المـسلمين في أسلوب كنائي يدل علي أن وطيس الحرب أضحي حامياً بأنهم الحماة وقـت تشابك الرماح في الحرب يوم مقتل أبي الوليد، وهو عتبة بن ربيعة، وقـد قتـل المسلمون من الكفار عتبة وشيبة ابني ربيعة، يوم أن ذهبوا للمسلمين من أجـل قتالهم، وفي ذلك إشارة من حسان علي أن كفار قريش هم الذين سعوا للقتـال، وكدأبه يستقصي في وصف كل ما فيه إذلال الكفار حيث عـرّض بحكـيم بـن حزام الذي فر بحثاً عن النجاة، يوم أن جابت بنو النجار كالأسود فـي ميـدان المعركة، وكان ذلك مدعاة لتولية الكثير منهم، نحو جموع فهر، والحارث بـن هشام بن المغيرة؛ مما أدي لالتصاق الخزي والذل بهم حتى لا يفـارقهم فقـد جري منهم مجري الدم في الوريد، وبعد هذا الحكم الذي ربما ظن السامع مدي تعسفه فيه ذهب لإلصاق العار بالجميع معلنها صراحة دون مواربة بأن القـوم ولوا عن بكرة أبيهم ولم يكترثوا بما لحق بهم، حتى كأنهم تركوا مجداً أضـحي أثراً بعد عين إزاء فرارهم.

والناظر في القصيدة السابقة يتبدي له بعض الأمور، هي:

أولاً: اهتم حسان بإبراز كل ما فيه إذلال قريش وامتهانا؛ وجاء ذلك مشفوعاً بالدليل حتى لا يشكك في كلامه أحد.

ثانياً: اتسمت البداية بالقوة الممزوجة بالتأكيد المشفوع ببيان يؤكد علم قريش عن بكرة أبيها بما حدث لها من أسر، وقتل شديد.و يعود مرجع التعميم من حسان لهذه المعرفة إلي عدم معرفة قريش بالمعركة أولاً، ثم لما طار الخبر لها ذاع واشتهر حتى تيقن الجميع بما لاقاه الكفار علي أيدي المسلمين.

ثالثاً: طوف حسان حول العديد من أسماء كبار كفار قريش في ثنايا القصيدة ثم ختم بتعميم الحكم علي كل قريش.

رابعاً: وضح من خلال القصيدة مدي احتفاء حسان بقبيلة بني النجار، ولهذا سببان، الأول : لأنهم أخوال النبي (ﷺ)، الثاني: لأنها قبيلته التي ينتمي لها، وتجلي الاحتفاء في تصويرها أسوداً التي تضرب في الأرض يميناً وشمالاً، نتج عن ذلك فرار من بقي حياً بحثاً عن النجاة بنفسه.

خامساً: أدي حرص حسان في التشفي من قريش إلي ذكر أكبر عدد ممكن من أسماء الكفار، و إلي وسم اليوم باسم أحد كفارهم مثل قوله عن هذا اليوم "يوم أبي الوليد" علي الرغم من أن القرآن الكريم سماه بيوم الفرقان. قال تعالي: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ.....﴾(١)

سادساً: غلبة الأساليب الخبرية المؤكَدة في تلك القصيدة، وكأني به يريد إيصال رسالة لقريش مفادها أن كلامي لا يحتمل إلا الصدق نظراً لأنه حقائق مقرونة بالدليل الذي يؤيده الواقع؛ لذا استعمل قد واللام وكل وجميع في أكثر

(١) سورة الأنفال آية رقم "٤١".

من موطن نحو قوله: لقد علمت قريش، ولقد لاقيتم، وكل القوم، وقد ولوا جميعاً، ويبدوا من الجمل السابقة حرص حسان علي المجيء بما يدفع الشك عن كلامه حيث يأخذ الحجة علي قريش من خلال تلك الكلمات مثل: علمت، ولاقيتم، و جميعاً.

سابعاً: أقام حسان قصيدته علي حرف الروي الدال؛ وهو صوت مجهور، شديد، مستفل، مصمت، مقلقل، منفتح، خفي، كما أنه من الحروف القوية حيث يجتمع فيه من الصفات سبع؛ أربع من صفات القوة؛ وهي الأربع الأول، وثلاثة من صفات الضعف؛ وهم الباقون؛(١) لذا فهو حرف موسوم بالقوة وهذا يتناسب مع تصوير الشاعر لما حدث يوم بدر، ليس هذا فحسب بل إن حسان أوغل في استعماله حيث كرره في قصيدته السابقة خمس عشرة مرة خمس منها في البيت الأول الذي ختمه بقوله "**والقتل الشديد**" فالقتل يحتاج لقوة، فما بالنا لو جمع معه الشدة؛ لذا بني الشاعر قصيدته علي حرف قوي ليتناسب مع تصوير الشاعر وعاطفته.

ثامناً: انمازت القصيدة بحدوث تآلف وتآزر بين المقدمة والخاتمة فقد ساقت المقدمة حكماً مؤكداً لا ريب فيه، ثم حملت الخاتمة بين جنباتها نتيجة من نتائج القتل والأسر تتمثل في توليهم جميعاً، ولم يكتف حسان بهذه التولية وإنما بين أنهم لم يولوا لحسب جديد يبحثون عنه فكأنهم بعد بدر قد انقطع عنهم كل خيط ربما يقودهم لمجد يعوضوا به ذلتهم يوم بدر. ومما يعضد ذلك ويقويه الدقة التي استطاع من خلالها بيان طرائق قتل الكفار فلم يكن المسلمون

(١) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دكتور/ عبد العزيز أحمد علام، ١٥٥، الطبعة الأولي، ١٤١٠/١٩٩٠.

يضربون ضرباً عشوائياً وإنما اتسم قتلهم بكونه قتلاً خفيفاً سريعاً نافذاً تحت الوريد فلا ناج لمن أصيب، وتلك صورة رائعة من حسان حيث صور ما حدث يوم بدر بين المسلمين والكفار بما يحدث بين الذبيحة وصاحبها من حرصه علي ذبحها ذبحاً سريعاً خفيفاً نافذاً، وهذا ما أفادته كلمة جهيزاً.

ومن شعره في يوم بدر:(١)

أَلَا لَيْتَ شِعْري هَلْ أَتَى أهلَ مكةٍ * إبارتُنا الكفارَ فِي ساعةِ العُسْر

قَتَلْنَا سَراةَ القومِ عِنْدَ مجالِنا * فَلَمْ يَرْجعوا إلَّا بقاصمةِ الظَّهْرِ

قَتَلْنَا أَبَا جهلٍ وعُتبةَ قبلَه * وشَيْبةُ يكْبو لليدَيْن وللنحرِ

فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كريمٍ مُرَزَّءٍ * لَهُ حسبٌ فِي قومِهِ نابِه الذكرِ

تَرَكْنَاهُمْ للعاوياتِ تَنُوبُهم * ويَصْلَوْنَ نَارًا بعدُ حَاميةَ الْقَعرْ

بكفرهمِ باللهِ، والدينُ قائمٌ * وما طلبوا فينا بطائلةِ الوترِ

لَعَمْرُكَ ما خَامَتْ فَوَارِسُ مالِكٍ * وَأَشْيَاعُهُمْ يوْمَ التَقَيْنا علَى بَدْرِ

وقد ولج حسان في موضوعه كعادته في القصائد التي قالها في زمن الغزوة من دون تمهيد، كما استهل شعره بأسلوب تنبيهي لافت حتى يستقطب الأنظار لكلامه، ثم دشّن استفهاماً يشي من خلاله أخذ الحجة علي أهل مكة الذين غاب عنهم خبر هلاكهم وانهزامهم، بعد ذلك يبدأ طوراً آخر يبين خلاله عدداً من قتلي كبار قريش، من أمثال: أبو جهل، وعتبة بن ربيعة، و أخوه شيبة، ثم يبين حسان أنهم لم يعنوا بقتل سفهائهم وإنما عمدوا إلي أكارمهم والنابهين منهم،

(١) ينظر سيرة ابن هشام،٢/٢١. الديوان تحقيق: د/ سيد حنفي، ٢٦٦. شرح الديوان لجمانة يحيي الكعكي،٩٣. مع اختلاف يسير بينهم في العدد والترتيب والرواية.

ثم يدعم إذلال المسلمين للكفار بأنهم تركوهم للكلاب تتناوب عليهم، بعد ذلك يمعن حسان في بيان عذاب من نوع آخر وفي مكان غير الدنيا يكمن في عذاب الآخرة؛ حيث يصلون ناراً قعرها حامية؛ وذلك بسبب كفرهم وعنادهم، وأنى لهم الثأر منا، ثم يدعم مذهبه الذي رامه بقسم يؤكد خلاله أن فوارس مالك ما جبنت هي وأشياعهم يوم بدر. والرواية علي ذلك تعد مدحاً لجيش المسلمين وأما رواية "حامت"فتعد قدحاً في جيش الكفار إذ لم يستطيعوا حماية أنفسهم ولا أشياعهم من المسلمين في يوم بدر. وكلمة فوارس مالك تعد مضرباً للمثل في الشجاعة والإقدام وقد استعملها العديد من الشعراء مادحين بها جيشهم، ومن ذلك بيت حسان السابق، ونحو قول الْخَنْسَاءُ:

لَقَدْ أَكَلَتْ بَجِيلَةُ يَوْمَ لَاقَتْ * فَوَارِسَ مَالِكٍ أَكْلًا وَبِيلًا(١)

ونحو قول النعمان بن زرعة يوم فَلْج :(٢)

أَلاَ إِنِّي رَأَيْتُ بني زُهَيرٍ * فَوَارِسَ مَالِكٍ يَوْمَ النِّزَالِ

وعلي هذا فاختيار حسان لفوارس مالك مقصود منه حيث ذاعت الكلمة واشتهرت علي ألسنة الشعراء في وصف لكل شجاع مقدام.

وبنظرة متأملة لقصيدة حسان السابقة يمكن القول:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ٤٩/١٩.

(٢) وهو يومٌ لبني تَغْلِبَ على بني تميم أَغارَ النُّعمانُ بن زُرْعَةَ بن هَرْمِيّ بن السَّفَّاح بن خالِدِ بن كَعْب بن زُهَيرِ بنِ تَيْم بن أُسامَةَ، في خَيْل من بني تَغلِبَ، على بني تميم بفَلْجٍ. ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي (المتوفى: ٣٧٧هـ) يوم فلج.

أولاً: بني حسان قصيدته علي حرف الروي الـراء وذاك حـرف يتـسم بالتكرار(١) وفي ذلك إشارة منه إلي أن القتل تكرر من المسلمين كثيـراً تجـاه الكفار، ومما يعضد ذلك استعماله كلمة القتل التي كررها خمس مـرات، كمـا برز في تقوية ذلك الأمر والأخذ بيديه إلحاحه علي استعمال الفعـل المـضارع الذي تكرر مرات عديدة، مثل: "**يرجعوا- يكبو- تركناهم- يـصلون**" وكلهـا أفعال مضارعة تدل علي التجدد والحدوث وهذا يتآزر مع التكرار الحادث مـن صوت الراء من ناحية، وكلمة القتل من ناحية أخري.

ثانياً: عبر حسان عن شدة هول الموقف بالنسبة للكفار بالوصف التالي "**ساعة العسر**"، وقد استعمل القرآن الكريم التعبير ذاته ولكن بتأنيث العسر، قال تعالي: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾(٢) وقد جاء تصوير القرآن في صدد الحديث عن غزوة العسرة أو جيش العسرة، ومرجع العسرة كما هو لائح من التسمية وترجع إلي "**أن المؤمنين خرجوا إليها في مجدبة، وحر شديد، وفقر في الزاد والماء والراحلة**".(٣) وعلي هذا فإن مآل العسرة يعود لأمرين أحدهما متعلق بالحر الشديد والآخر بضيق ذات اليد؛ لذا أنث القرآن الكريم العسرة حيث لم تدم طويلاً حتى جاء النصر من قبل الله (ﷻ) ليرطب الله به قلوب المؤمنين،

(١) ينظر عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة،١٥٥.

(٢) سورة التوبة آية رقم"١١٧".

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، ٤١٩/٦، الطبعة: الأولى دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،١٩٩٧/١٩٩٨م.

وبغض النظر عن القافية التي ألزمت الشاعر التذكير يمكن القول إن مرد التذكير يرجع إلي تعدده وامتداده مدة من الزمن حتى غزوة أحد فلم يكن عسر الكفار عسراً مادياً متعلقاً بالغنائم التي تحصّل عليها المسلمون فحسب بل امتد ليكون عسراً نفسياً يعود إلي ما لاقاه الكفار في بدر من قتل وأسر، فإذا كان كفار مكة قد خافوا افتضاح أمر هجوم محمد وأصحابه علي قافلة أبي سفيان فما بالنا بهم بعد بدر، وقد حالف حسان التوفيق في تصديره ساعة العسر المشهد ثم انطلاقه بعدها كالسهم المارق في بيانٍ سطر خلاله بعضاً من خسائر الكفار البدنية، وعلي هذا فإن التذكير يعود إلي تعدد ألوانه الحسية والمعنوية، وإلي امتداده عاماً كاملاً، بينما ساعة العسرة للمسلمين في تبوك لم تمكث إلا أياماً معدودات ثم جاءت الانفراجة من قبل الله (ﷻ). وربما قال قائل إن القافية هي التي ألجأت الشاعر للتذكير، ويرد عليه بأن الوصف جاء في البيت الأول من القصيدة ولو لم يقصد حسان التذكير لغيّر القافية أو بدّل كلمة العسر.

ثالثاً: برز من خلال القصيدة مدي دقة حسان في تعامله مع عنصر الزمن، حيث جاء ترتيبه متوافقاً مع أحداث الغزوة في مصارع الكفار، وقد تجلي ذلــك في قوله: "قتلنا أبا جهل وعتبة قبله"حيث إن عتبة من الذين قتلوا قبــل احتــدام المعركة؛ وذلك في المبارزات الفردية التي جرت بينه وبين عبيدة بن الحــارث الذي جرحه ثم انقض عليه علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب، فكلمــة "قبله" تفيد احتراساً يتناسب مع الترتيب الزمني في الغزوة، وأما تقديم أبي جهــل علي عتبة فراجع لمكانة الأول في نفوس الكفار كأن حسان يريد إيصال رســالة للكفار مفادها إن قائدكم قد لقي حتفه وذلك أول منازل النصر، كمــا فيــه إذلال لهم. وتتبدي الدقة كذلك في قوله: قتلنا سراة القوم عند رحالهم، حيث يستدل من هذا التحديد مدي استطاعة المسلمين قتل أكابر الكفار عند رحــالهم؛ بمعنــي أن

الإقدام والشجاعة ترجع للمسلمين أكثر من الكفار فقد كان المسلم هو الذي يبادر المشرك بالقتال ثم القتل.

رابعاً: حوت القصيدة بين جنباتها العديد من الألفاظ التي تدل علي مدي احتدام المعركة من ناحية، وسيطرة المسلمين عليها من ناحية أخري، مثل: قتلنا، وإبارتنا، قاصمة الظهر، ويكبو.

خامساً: أظهرت القصيدة أن المسلمين لم يكونوا هم الساعين للقتال وإنما الكفار هم الذين سعوا لذلك وحرصوا عليه، وقد تبدي ذلك من خلال قول حسان "**قتلنا سراة القوم عند مجالنا**"، وقوله: "**فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر**" وفي ذلك إشارة إلي أن القتال كان قريباً من المدينة، ويؤكد ذلك بيان حالهم التي رجعوا بها، ولعل ذلك كان من دعائم تقديم مصرع أبي جهل علي غيرة؛ لأنه هو الذي تعنت وأصر علي الذهاب لبدر من أجل نحر الجزور، وإطعام الطعام، وشرب الخمر، وعزف القيان، حتى يسمع العرب بهم فلا يزالون يهابونهم ولكن كان ما كان.(١)

سادساً: استعان حسان بالعديد من الصور التي ساعدته في تقوية المشاهد التي رام تصويرها، من ذلك إرساله العديد من الكنايات التي تلحق الذلة والمهانة بالكفار، نحو قاصمة الظهر، وحامية القعر، ثم يطلق حسان استعارة بالكناية لإشعار المسلمين بأن مرجع الغلبة للدين ما دام قائماً حيث شخّص من الدين إنساناً يقوم؛ ولذا فإن الكفار مآلهم الهزيمة ما داموا علي عنادهم وتعنتهم والنصر للمسلمين ما دام الدين قائماً بينهم.

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، ٥٣٦/٩، الطبعة: الأولى، نشر: دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان- ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.

ومما قاله حسان في يوم بدر قوله:([1])

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِّ قَوْمًا... وَإِنْ كَثُرُوا وَأُجْمِعَتْ الزّحُوفُ

إِذَا مَا أَلَّبُوا جَمْعًا عَلَيْنَا... كَفَانَا حَدّهُمْ رَبّ رَءُوفُ

سَمَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالْعَوَالِي... سِرَاعًا مَا تُضَعْضِعُنَا الْحُتُوفُ

فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً فِي النّاسِ أَنْكَى... لِمَنْ عَادَوْا إِذَا لَقِحَتْ كُشُوفُ

وَلَكِنّا تَوَكّلْنَا وَقُلْنَا... مَآثِرَنَا وَمَعْقِلَنَا السّيُوفُ

لَقِينَاهُمْ بِهَا لَمّا سَمَوْنَا... وَنَحْنُ عِصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوفُ

بدأ حسان مقطوعته تلك بنفي الخوف عن المسلمين علي الرغم من كثرة عدد خصمهم، وإجماع الزحوف نحوهم، وليت الأمر اقتصر علي ذلك وإنما ألبوا غيرهم علي المسلمين، ثم يبرز حسان من خلال الأبيات مدي ثقة المسلمين بربهم، فقد كفي المسلمين رب رءوف، ثم ينتقل الشاعر لبيان حال المسلمين يوم بدر حين سموا سراعاً بالرماح لا يضعفهم الخوف من الموت، ولو فتش الإنسان فلن يري عصبة في الناس أشد لمن يعاود الحرب بعد سكونها، بعد ذلك ينتقل لبيان أنهم متوكلون علي الله لا متواكلون؛ لذا أخذوا بأسباب النصر واستحضروا مآثرهم، وجعلوا عدتهم السيوف ليكون اللقاء بعد ذلك علي الرغم من التفاوت العددي والعتادي.

(١) الديوان تحقيق: سيد حنفي،٣٩١.

وبالوقوف مع الأبيات وقفة متأنية يمكن القول:

أولاً: بدأ حسان مقطوعته بحرب إعلامية لزعزعة الروح المعنوية لدي الكفار من خلال بيان عدم خوف المسلمين منهم، علي الرغم من كثرة عددهم؛ لأن الله هو كافيهم.

ثانياً: بدا في تلك المقطوعة إلحاح حسان علي قضية العدد، وقد تبدي ذلك من البيت الأول حين قال: "**وإن كثروا وأجمعت الزحوف**"، وبرز كذلك في البيت الأخير عندما قال: "**ونحن عصابة وهم ألوف**" وقد تمايز الطرح في المرتين حيث بين في الأولي كثرة عدد جيش الكفار، في حين جاءت المرة الثانية بإقامة موازنة بين جيش المسلمين والكفار،وقد تجلت الموازنة من خلال نعته جيش المسلمين بالعصابة، وجيش الكفار بالألوف، وإن كان قد وصف المسلمين بالعصابة قبل البيت الأخير، ليكون بذلك قد تعرض للفارق العددي مرتين الأولي علي سبيل الموازنة، وفي الأخرى وقف مع كل فئة منهما علي حدة.

ثالثاً: حاول حسان اللعب بأعصاب الكفار من خلال وصف المسلمين بمجموعة من الصفات التي تفت في عضدهم، مثل: "**فما نخشى، سمونا، العوالي، ما تُضعضنا، معقلنا السيوف**".

رابعاً: غلب الأسلوب الحماسي الخطابي علي هذه المقطوعة مما يدعو للقول بأنه جاد بها قبيل المعركة مباشرة، كما يقوي ذلك العديد من الكلمات التي تشي بمدي توكل المسلمين علي الله ولو كانت المعركة قد انتهت لاختلفت العاطفة من التوكل علي الله إلي التحدث بنعمة الله وشكره علي ما أنعم.

خامساً: بني حسان مقطوعته علي القافية المردوفة بحرف الواو المتبوع بقافية الفاء، وردف المقطوعة يوصف بست صفات ثلاث من صفات القوة،

وهي: الجهر، والإصمات، والوضوح، والباقي من صفات الضعف، وهي: الرخاوة، والاستفال، والانفتاح، وعلي هذا فحرف الواو يعد حرفاً متوسطاً.

بينما يوصف صوت الفاء بست صفات، هي: الهمس، والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والذلاقة، والإخفاء، وكلها من صفات الضعف؛ ولذا فصوت الفاء أضعف صوت في العربية، وهو الوحيد في أصوات العربية الذي وضع أمامه في صفات القوة رقم :صفر.(١) وبناء عليه فقد ختم حسان مقطوعته بحرفين الأول منهما متوسط، والآخر أضعف صوت في العربية، غير أن الواو تحمل في طياتها إيحاءً بالاستدارة المستفادة من استدارة الشفتين أثناء نطقها، ويعمق من تلك الاستدارة كلمتا البداية والنهاية، حيث أول كلمة في ختام البيت الأول، هي"**الزحوف**" وأخر كلمة في البيت الأخير، هي: "**ألوف**" وكلا الكلمتين تعودان علي جيش الكفار، كما يعزز من الاستدارة- أيضاً - تكرار الواو اللافت للنظر حيث كررها ثماني عشرة مرة، ولو ختم الشاعر أبياته بحرف قوي لكان لتلك الاستدارة أثرها علي المسلمين لكن لما ختم بحرف لا يعرف عن القوة شيئاً تبين مدي ضعفها وعدم جدوتها؛ لذا عمد حسان إلي سرعة تفكيكها من خلال ختام البيت الثاني إذ استعان باسم من أسماء الله (ﷻ)، وهو"**رءوف**" الذي يدل علي تعطفه علي عباده المؤمنين؛ لذا جعله في معونة المسلمين ضد الكفار، ثم توالت أدوات التفكيك التي سخرها الله (ﷻ) في مواجهة الكفار علي امتداد الأبيات، مثل: "**سمونا**" التي كررها مرتين، وتشي بالارتفاع والسمو الحسي والمعنوي، و"**ما تضعضعنا الحتوف**" ويستفاد منها عدم

(١) ينظر عن علم التجويد القرآني١٦٣.

الخوف من الموت فهم يقبلون عليه ولا يهابونه أبداً، و"**عصبة في الناس أنكي**" حيث تشير إلي الشدة والبأس، و"**معقلنا السيوف**" الذي هو أداة من أدواتهم، وعلي هذا فإن النصر قادم بإذن الله لا محالة.

ومما قاله حسان عن يوم بدر، وصور خلاله نزول الملائكة في بيت واحد، قوله:(١)

ويوم بدرٍ لقيناكمْ لنا مددٌ * فيرفع النصرَ ميكالٌ وجبريلُ

استطاع حسان بفطرته الشاعرة أن يصور مشهد اللقاء بين المسلمين والكفار في بيت واحد، كما واتته قريحته ليصور نزول المدد من السماء، بل إن الأمر تجاوز ذلك ليذكر بعضاً من الملائكة الذين نزلوا في مواجهة الكفار مع المسلمين، مثل ميكائيل وجبريل، وقد استعان بصورة استعارية كنائية رائعة جعلته يجعل النصر كأنه رجل مرفوع بواسطة الملائكة، وتلك إشارة إلي أن النصر ما دام قد رفعه الملائكة بأمر من الله فلا راد له. و قد صور القرآن نزول الملائكة يوم بدر في أكثر من موطن، قال تعالي: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾(٢) وقال أيضاً: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾(٣).

(١) الديوان، تحقيق: سيد حنفي، ٣٩٤.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الأنفال.

وبعد فمن خلال الوقفة السابقة مع ما قاله حسان في وقت الغزوة أو بعدها بيسير، يمكن القول إن هناك مجموعة من السمات تجمع الشعر السابق تتمثل فيما يأتي:

أ: الدخول في الغرض دون تمهيد أو توطئة فلا وقت لهذا الأمر.

ب: إلحاح حسان علي إبراز معية الله لهم وأنهم هم المنصورون.

ج: تدفقت قريحة حسان بأربع قصائد تحمل حرف الروي الدال، ثم تلاه الراء باثنتين، بعد ذلك جاءت العين بواحدة، والفاء بواحدة واللام ببيت واحد، أما الدال فحرف قوي شديد كما سبق بيان ذلك، واستعماله في مثل هذه المناسبات أنسب، أما الراء فيحمل معني التكرار وفي ذلك تناسب مع تكرار القتل من المسلمين للكفار.

د: تركيز حسان في غالب القصائد علي إبراز كل ما يدل علي إذلال الكفار وامتهانهم.

هـ: اتسمت كل القصائد السابقة بعدم الطول؛ فهي بين القصيدة الصغيرة أو المقطوعة ثم تقلصت حتى وصلت لبيت واحد.

ز: غلبة الأساليب الخبرية المؤكدة باللام وقد. كما أكثر حسان من الكنايات قياساً علي التشبيه والاستعارة، وربما رجع الأمر إلي أن التكثيف من الأساليب الكنائية أكثر إبرازاً لمدي ذلة الكفار وامتهانهم، من التشبيه والاستعارة.

ح: لم يتعرض حسان لبعض الأحداث التي من الممكن أن تفت في عضد المسلمين في حال معرفة الكفار بها سواء أكان ذلك قبل الغزوة أو في أثنائها أو بعدها، مثل الحديث عن قافلة أبي سفيان ونجاته بها، وصيام المسلمين يوم بدر، واختلافهم حول الأنفال.

ثانياً: ما قاله حسان في الرد علي شعراء الكفار وتعرض لما حدث في بدر.

وينسحب هذا الشعر علي ما قاله حسان وغرضه الرئيس يكمن في الرد علي شعراء الكفار.

ومما قاله يرد به علي كعب بن الأشرف في قصيدته التي يقول فيها: "**لا تَبْعُدُوا إن الملوك تصرع**"، تلك التي بكي فيها قتلي المشركين في بدر، وكعب هذا رجل من بني نبهان من طيء، وكان مؤذياً لرسول الله (ﷺ) استهلها حسان بقوله:(١)

لا زال كعبٌ يستهلّ دموعه * للهالكين مجدّعا لا يسمعُ

فلقد رأيت ببطن بدر منهمُ * قتلى تَسُحُّ لها العيون وتدمعُ

فابك فقد أبكيت عبدا راضعاً * شبه الكُليب إلى الكُليبة ينزِعُ

ولقد شفى الرحمنُ منا سيّدا * وأهانَ قوماً قاتلُوه وصُرِّعُوا

ونجا وأفلتَ منهمُ متسرّعاً * فلّ قليلٌ هاربٌ يتَمزَّعُ

وقد استطاع حسان من خلال هذه المقطوعة تصوير حال الكفار في ثوب كعب بن الأشراف، والمسلمين في صورة رسول الله (ﷺ) عقب غزوة بدر، إذ شتان ما هما، حيث فريق يستهل دموعه حزناً وكمداً علي الهالكين بعد انقطاع دابرهم، وعندما عاين حسان المشهد بنفسه وجده أصعب مما صوره في البيت

(١) الديوان، تحقيق: سيد حنفي، ١٥٥وما بعدها، ينظر السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي،٥٢/٢.

الأول، إذ رأي دموع العيون منهمرة علي قتلاهم في بطن بدر، وذلك يعد منحة من الرحمن شفي بها حبيبه بعد إهانتهم إياه خاصة وأنهم لم يكتفوا بخروجه من مكة بل سعوا وراءه وخاب سعيهم، ولا يظن السامع أن الناجين منهم لم يصبهم أذي بل هربوا متمزعين يجررون أذيال الخيبة والحسرة والألم.

والناظر في المقطوعة السابقة يجد حسان استعان بالعديد من الوسائل في رسم مشهد يجمع بين طرفين متناقضين؛ طرف منهزم حسير وآخر منتشٍ بفرحة النصر، وإن كان الطرف الأول هو الغالب علي معظم المقطوعة، وذلك راجع إلي أن الكلام موجه إلي الكفار في صورة كعب، ومن الوسائل التي استعان بها الكلمات الموحية الدالة علي مدي معانة الكفار، نحو: (الدموع والبكاء، الهالكين، تسح، يتمزع، صرعوا، أهان)، كما ألح علي الفعل المضارع الدال علي التجدد والحدوث للدلالة علي أن مظاهر الحزن تتجدد بتجدد التذكر لما لاقاه الكفار يوم بدر.

وقد لجأ حسان إلي المؤكدات من أجل سد الباب علي كل من أراد التشكيك في قضيته، حيث استعمل قد مع الفعل الماضي مرتين للدلالة علي التحقق، ثم رأي التي تشي بأنه شاهد البكاء بعينه ولم يصفه أحد له، ثم بين أن ما حدث كان في بطن بدر ولم يتجاوزها حتى لا يظن ظان أن البكاء ربما كان علي شيء آخر بخلاف ما حدث للكفار في بدر.

ومما يدل علي براعة حسان في تلك المقطوعة أنه ذكر طرفي القضية مع وصف دقيق لحالة كل طرف، وكأني به يعقد موازنة سريعة بينهما.

ومن كلام حسان الذي أجاب به ابن الزبعري حين بكي قتلي المشركين في بدر قوله من الكامل:([1])

(١) الديوان،٢٧٠. سيرة ابن هشام ١٥/٢. مع اختلاف يسير في الرواية بينهما.

ابْكِ بَكَتْ عَيـْنَاك ثُـمّ تَبَادَرَتْ... بِـدَمٍ تُـعَـلّ غُـرُوبُهَا سَـجّـام
مَـاذَا بَكَيْـتَ بِهِ الّذِينَ تَتَايَعُـوا...هَـلّا ذَكَـرْتَ مَـكَارِمَ الْأَقْـوَامِ
وَذَكَرْتَ مِـنّا مَاجِـدًا ذَا هِـمّةٍ...سَمْحَ الْخَلَائِقِ صَـادِقَ الْإِقْـدَامِ
أَعْنِي النّبِيّ أَخَا الْمَكَارِمِ وَالنّدَى...وَأَبَرّ مَـنْ يُـولِي عَـلَى الْأَقْسَـامِ
فَلِمِـثْلِهِ وَلِمِثْـلِ مَـا يَـدْعُـو لَـهُ... كَـانَ الْمُـمَـدّحَ ثَمّ غَـيْر كَـهَـام

وقد افتتح حسان مقطوعته بأمر عبد الله بن الزبعري بالبكاء، وربما ظـن ظان أن لو اكتفي حسان بطلب البكاء من ابن الزبعري أن فيه الـشفاء فـامرؤ القيس يقول:

وإنَّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهرَاقَةٌ(١) وعلي هذا فقد يكون البكاء سبباً لإخراج النفس مما هي فيه، وربما كان فيه تسلية لها، لكن حسان سرعان ما كشف عن مأربـه الحقيقي إزاء طلبه للبكاء فلم يُرد تسلية نفس ابن الزبعري وإنما أراد اسـتدراجه ليستبدل بدلاً من الدموع دماً جارياً، ثم يبكته باستفهام يبين ضلال ما رام إليـه فلا ينبغي له ذلك، ثم يمهد له طريقاً آخر غير البكاء؛ وهو الوقوف عند مكـارم الأخلاق؛ وكأنه استدراج جديد، إذ لو حول وجهته من البكـاء لـذكر مكـارم الأخلاق، وفتش عن ماجد ذي همة سمح الخلائق ماجد الإقدام فلن يجد إلا مـا عناه؛ وهو النبي (ﷺ) فهو أبر من يقف مقسماً؛ لأن له من التكرم والندي والبر

(١) ديوان امرئ القيس بن حجر بـن الحـارث الكنـدي، (المتـوفى:٥٤٥) اعتنـى بـه: عبد الرحمن المصطاوي، ٢٤، الناشـر: دار المعرفـة – بيـروت الطبعـة: الثانيـة، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

ما يجعله كذلك؛ لذا فإن مثله ومثل ما يدعو إليه هو المُمَدّح بينما غيره بطيء عن غايته لا نفع فيه، وهو احتراس لتأكيد الحكم الذي ساقه حسان قبل ذلك.

وبعد فبإمعان النظر في المقطوعة السابقة يمكن القول:

أولاً: ولج حسان لموضوعه مباشرة دون تمهيد؛ و لعل ذلك راجع للأمور الآتية : قصر المقطوعة الشعرية التي قالها فما جاد به ليس قصيدة حتى يبدأها بتمهيد، وربما رجع الأمر إلي دافع نفسي انفعالي منعه من التقديم لموضوعه فالحماسة غالبة عليه؛ لذا جعلته لا يمهد لما يرنو إليه وهذا دأبه في غالب شعره الذي أقامه حول غزوة بدر.

ثانياً: يبدو من خلال المقطوعة السابقة أن حسان أراد أن يستدرج ابن الزبعري ليصل به في نهاية المطاف لتبكيته علي ما صنعوه مع النبي (ﷺ)، فرجل لا يحمل من الخصال إلا كل ما كان مستحسناً، ثم هو بعد ذلك يدعو إلي يتخلق به؛ إذن فكيف يترك قومه اتباعه ويحاربونه.

ثالثاً: تبدي من خلال المقطوعة السابقة عدم تعرض حسان لشيء مما حدث في بدر، كما لم يذكر أحداً من الذين بكاهم ابن الزبعري من أمثال: عمرو ابن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم، وإنما ركز علي بيان خطل ما رام إليه، وانطلق معهم انطلاقة واحدة ورد علي مزاعمه في زفرة واحدة؛ حتى يضعهم في سلة واحدة، ثم اتخذ ذلك متكئاً لمدح النبي (ﷺ).

رابعاً: اتكأ حسان علي مجموعة من الحروف التي تآزرت معه لتصوير مشهدين؛ الأول منهما بكاء ابن الزبعري، والثاني مدح النبي (ﷺ) حيث كرر حرف الميم ثلاثاً و عشرين مرة، والكاف ثماني مرات، ويجتمع في الميم سبع صفات خمس من صفات الضعف، وهم: التوسط، والاستفال، والانفتاح، والذلاقة، والإخفاء، واثنتان من صفات القوة، وهما: الجهر، والغنة، أما الكاف

فيجتمع فيه ست، أربع من صفات الضعف، وهم: الهمس، والاستفال، والانفتاح، والإخفاء، واثنتان من صفات القوة، وهما الشدة، والإصمات؛ وعلي هذا فالحرفان موسومان بأنهما من الحروف الأضعف(١) وبعد فإلحاح حسان علي حرفين من الحروف الضعيفة بهذا الشكل يفسر لنا مدي الضعف الذي حل بابن الزبعري، وذلك ناتج عن البكاء الشديد فمن المعلوم أن البكاء الناتج عن حزن يؤدي إلي ضعف وترددٍ في الصحة، فإذا أضيف إلي ذلك ما صنعه حسان من بيان خطأ ابن الزبعري في عدم ذكره مكارم أخلاق قومه ولو أراد فعل ذلك لن يجد إلا رجلاً أولي ممن رام ذكره؛ وهو النبي (ﷺ) الذي خرج من بين ظهرانيهم واستقبله أهل المدينة وآزروه وناصروه وكأن ذلك تبكيت آخر من حسان لابن الزبعري علي ما صنعوه مع النبي وذلك يستدعي حزناً وبكاء بالإضافة لبكائه علي قتلاهم وكل ذلك يورث ضعفاً يتناسب مع الحروف الضعيفة التي صور بها حسان حالة ابن الزبعري.

- ومما جادت به نفس حسان في الرد علي كعب بن الأشرف اليهودي قوله من الكامل:(٢) .

---

(١) ينظر عن علم التجويد القرآني ١٥٧.

(٢) الديوان تحقيق: د/ سيد حنفي،٣٩٠. سيرة ابن هشام، ٥٣/٢. و كان رسول الله (ﷺ) يحث حساناً للتصدي لكعب بن الأشرف، فكان (ﷺ) يعلم حساناً أين نزل ابن الأشرف في مكة؟ فعندما نزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضميرة السهمي وزوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص، فأبلغ (ﷺ) حسان بن ثابت بذلك فهجاهم لإيوائهم ابن الأشرف، فلما بلغ عاتكة بنت أسيد هجاء حسان نبذت رحل اليهودي كعب بن الأشرف وقالت لزوجها: ما لنا ولهذا اليهودي؟ ألا ترى ما يصنع بنا حسان؟ وتحول كعب إلى أناس آخرين، وكان كلما تحول إلى قوم آخرين دعا رسول الله (ﷺ) حساناً وأخبره أين=

أَبَكَى لِكَعْبٍ ثُمّ عُلّ بِعَبْرَةٍ... مِنْهُ وَعَاش مُجَدَّعًا لَا يَسْمَعُ
وَلَقَدْ رَأَيْت بِبَطْنِ بَدْرٍ مِنْهُم...قَتْلَى تَسِحّ لَهَا الْعُيُونُ وَتَدْمَعُ
فَابكِي فَقَدْ أَبَكَيْت عَبْدًا رَاضِعًا...شِبْهُ الْكُلَيْبِ إلَى الْكُلَيْبَةِ يَتْبَعُ
وَلَقَدْ شَفَى الرّحْمَنُ مِنّا سَيّدًا...وَأَهَانَ قَوْمًا قَاتَلُوهُ وَصُرّعُوا
وَنَجَا وَأَفْلَتَ مِنْهُم من قَلْبه...شَعَفٌ يَظَلّ لِخَوْفِهِ يَتَصَدّعُ

وقد جادت قريحة حسان بالمقطوعة السابقة رداً علي كعب بن الأشرف عندما جَعَلَ يُحَرّضُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ (ﷺ) وَيُنْشِدُ الْأَشْعَارَ وَيَبْكِي أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، الّذِينَ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ فَقَالَ:

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِك أَهْلِهِ... وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلّ وَتَدْمَعُ(١)

وقد سبق الوقوف مع مقطوعة تكاد تكون مستلة من هذه مع اختلاف يسير بين الروايتين لكني آثرت ذكرها مع الرواية الثانية مشايعة لما ورد في الديوان، ونظراً لأن ذكرها هنا يغلب عليه جانب الموازنة.

=نزل ابن الأشرف فيهجو من نزل عندهم فيطردونه، وظل يلاحقه حتى لفظه كل بيت هناك، فعاد إلى المدينة راغمًا بعد أن ضاقت في وجهه السبل ينتظر مصيره المحتوم وجزاءه الذي يستحقه. السيرة النّبوية- عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث- لعَلي محمد محمد الصَّلَّابي،٤٦٠، نشر:دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) تحقق: عمر عبد السلام السلامي، ٢٨٤/٥، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

أما المقطوعة فقد بدأها حسان في الرد علي ابن الأشرف بالاستفهام الذي يتضمن معني الإنكار والتهكم، إذ كيف يبكي عليه أحد بعبرات متتالية حيث عاش مقطوعاً لا يسمع عنه أحد، ثم يعتمد حسان كعادته في تأكيد الكلام علي اللام وقد في بيان ما رآه في بطن بدر حيث قتلي تنهمر دموع العين عليهم حزناً، ثم يطلب منه أن يبكي كما أبكي الصغير الذي يتبع أمه، ثم يعود لتأكيد باللام كرره مرة أخري ولكن لبيان أن الله شفي صدر نبيه بعد أن أهان القوم الذين قاتلوه، وأما من نجا أفلت فقد احترق قلبه حزناً علي القتلى من ناحية، ومن شدة خوفه وتصدعه من جهة أخري. والناظر في المقطوعة السابقة يجد حسان قد صدر المشهد بحكم خاص ثم تسلل من خلاله بحكم عام ختم به المشهد؛ حيث كني عن خمول ذكر ابن الأشرف بكونه مقطوعاً، ثم جاد الختام بحكم عام استطاع من خلاله بيان سر من نجا وأفلت حيث الخوف الذي صدع قلوبهم في مشهد استعاري رائع، فكأن القلب جدار تصدع وانفطر من شدة الخوف.

وبعد فقد تدفقت قريحة حسان بالمقطوعتين السابقتين في الرد علي عبد الله ابن الزبعري في الأولي؛ وهو من شعراء الكفار بينما جاءت الثانية للرد علي كعب بن الأشرف؛ وهو من شعراء اليهود الذين ذهبوا لمكة وتعرضوا للنبي (ﷺ) ولكن قبل الوقوف علي أوجه الاتفاق والاختلاف ينبغي التنبيه علي قول ابن هشام: وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهَا لِحَسَّانَ وَقَوْلُهُ «**أَبَكَى لِكَعْبٍ**»(١) وبالنظر للمقطوعتين يمكن القول إن تقارباً بينهما يتضح فيما يأتي:

(١) سيرة ابن هشام ٢/٥٣.

أولاً: بني حسان شعره في المرتين علي المقطوعة وليس علي القصيدة، كما أن الشخصين في الردين من الشعراء، وإن كان الأول منهما كافراً والثاني يهودياً.

ثانياً: صب حسان تجربتيه في بحر واحد هو الكامل، وفي ذلك إشارة إلي إتحاد العاطفة في المرتين.

ثالثاً: برز من خلال المقطوعتين مدي إلحاح حسان علي قضية البكاء فيهما، لدرجة تكراره لكلمة البكاء ثلاث مرات في كل مقطوعة، هذا بخلاف الألفاظ التي تصب في القضية نفسها، مثل: الدموع، والعيون، والعبرة، وتسح.

رابعاً: وقف حسان في المقطوعتين مع النبي (ﷺ) وإن كان في الأولي موقف المتمدح، وفي الثانية موقف المخبر أن الله شفي صدره (ﷺ) بما حدث مع الكفار، وبنظرة متأملة مع الموقفين نستطيع القول إن حسان في المقطوعة الأولي تناول النبي بالمدح، وذلك أغيظ للكفار من وجوه:

أ: بيان مدي حب الأنصار والمهاجرين للنبي.

ب: دلالة أن النبي نزل بأرض يناصره كل أهلها.

ج: ربما عرف الكفار مكانته من خلال هذا المدح فيعودوا لرشدهم ويكون ذلك سبباً في دخول أحدهم الإسلام. بينما جاءت المقطوعة الثانية لتصور شفاء الله صدر نبيه بهذا النصر المبين، وذلك أنسب مع اليهود إذ إنهم يغتاظون بهذا النصر من جهة، وبشفاء الله من جهة أخري لأنهم يظنون أنهم المصطفون في الأرض. ومما يعضد ذلك أنه مع ابن الزبعري الشاعر الكافر تحدث عن الرسول بكلمة "**النبي**"، في حين مع كعب الشاعر اليهودي ذكر النبي بكلمة "**السيد**" وفي الأولي تأكيد لأمر النبوة، أما الثانية فتحمل رداً علي اليهود بالنسبة لقضية السيادة.

خامساً: ولج حسان في الرد علي الشاعرين مباشرة دون تمهيد، حيث حالت عاطفته المتهيئة للرد دونه.

سادساً: جاء حديث حسان عن غزوة بدر في المقطوعات السابقة حديثاً عاماً إذ كان مهموماً بإبراز جوانب أخري سوي ما حدث في بدر، وهي قضية البكاء لدي ابن الأشرف وابن الزبعري.

سابعاً: من اللافت للنظر عدم إطالة حسان في الكلام عن ابن الأشرف أو ابن الزبعري وكأنه يريد أن يقول إن في إطالة الكلام إعلاء لشأنهما وهذا ما لا يريده.

وبعد هذه التطوافة مع المقطوعتين يمكن القول إنهما صدرا من شاعر واحد هو حسان بن ثابت، وفي ذلك رد لمن شكك في نسبة المقطوعة الثانية لحسان.

ثالثاً: ما قاله حسان بعد بدر

ويراد بها تلك القصائد التي قالها بعد بدر بزمن لكنه تعرض فيها لبعض مما حدث في يوم بدر، سواء أخلصها للحديث عن بدر أو استدعي الحدث في مناسبة أخري كيوم أحد أو يوم الخندق.

ومن القصائد التي سطرها عن غزوة بدر حين انهزم المسلمون في أحد، قصيدة قالها مجيباً بها عبد الله بن الزبعري السهمي بعد قوله :([1])

ليت أشياخي ببدر شهدوا جَزعَ الخزرجِ من وقع الأسلْ

قد قتلنا القرْمَ من أشياخهم وعدلناه ببدرٍ فاعتدل

فرد عليه حسان بقوله:

ذَهَبَتْ بابْنِ الزِّبَعْرَي وَقعةٌ، كانَ منا الفضلُ فيها لوْ عدلْ

ولقدْ نلتمْ ونلنا منكمُ، وكَذَاكَ الحَرْبُ أحْياناً دُوَلْ

إذ شَدَدْنا شَدّةً صادقَةً، فأجأناكم إلى سفحِ الجبلْ

إذْ تولونَ على أعقابكمْ هَرَباً في الشِّعبِ، أشْباهَ الرَّسَلْ

(١) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د/ سيد حنفي حسنين، ٩٣. ينظر شرح ديوان حسان بن ثابت، شرح وتحقيق:جمانة يحيي الكعكي، ١٢٥وما بعدها. لعل من تمام الكلام بيان علة وضع القصيدة السابقة فيما قيل بعد بدر دون ما قيل في الرد علي شعراء الكفار؛ لأن ابن الزبعري ما قال قصيدته التي رد عليها حسان إلا بعد انتصارهم في أحد وعليه فإن عنصر الزمن والمحرك العاطفي هما اللذان تحكما في تصنيفها ضمن ما قيل بعد بدر بزمن.

نَـــضَعُ الخطّـــيَّ في أكْتـــافِكُمْ، حيـــثُ نهـــوى علـــلاً بعـــدَ نهـــلْ
نحـــنُ لا أنـــتُمْ، بَنـــي اسْـــتِهَا، نحـــن في البـــأسِ إذا البـــأسُ نَـــزَلْ
يُخْـــرِجُ الأكـــدرَ مـــنْ أســـتاهكمْ كـــسُلاحِ النيَّـــبِ يـــأكلنَ العَـــصَلْ
وشَـــــدَخْنا في مَقـــــامٍ وَاحِـــــدٍ، مـــنكمُ ســـبعينَ، غـــيرَ المنتحـــلْ
وأسرنـــــا مـــــنكمُ أعـــــدادهمْ، فانـــصرَفْتُمْ مثـــلَ إفـــلاتِ الحجَـــلْ
بخناظيـــــلَ كجنـــــانِ المـــــلا، مَـــنْ يُلاقـــوهُ مـــن النّـــاسِ يُهَـــلْ
ضـــاقَ عنـــا الـــشعبُ إذ نجزعُـــهُ وَمَلأنَـــا الفُـــرْطَ مـــنهُمْ والرِّجَـــلْ
بِرِجَـــــالٍ لَـــــسْتُمُ أمْثَـــــالَهُمْ، أيـــدوا جبريـــلَ نـــصراً، فنـــزلْ
وَعَلَوْنَـــا يَـــوْمَ بَـــدْرٍ بـــالتُّقَى، طاعَـــةَ اللهِّ، وتـــصْديقَ الرُّسُـــلْ
وترَكْنـــا في قُـــرَيشٍ عَـــوْرَةً، يَـــوْمَ بَـــدْرٍ، وأحاديـــثَ مَثَـــلْ
مـــن قـــريشٍ في جمـــوعٍ جُمِّعُـــوا مثـلَ مـا جمـعَ في الخـصبِ الرَّسَـلْ
وقتلنـــا مـــنكمُ أهـــلَ اللـــوي إذ لقينـــاكُم كأنـــا أُسْـــدُ طَـــلْ
وقتلنـــا كـــلَّ رأسٍ مـــنهمُ، وطعَنَّـــا كـــلَّ جَحْجَـــاحٍ رَفِـــلْ
وأبـــدنا مـــن كـــريم ســـيد ماجـــدِ الجـــدينِ مقـــدامٍ بطـــلْ
وشريـــفٍ لـــشريفٍ فاضـــلٍ لا نباليـــهِ لـــدى وقـــعِ الأســـلْ
حـــين أعلنـــتم بـــصوتٍ كـــاذبٍ وأبـــو ســـفيان كـــي يعلُـــو هُبَـــلْ

لَمْ يفوتونا بشيءٍ ساعةً، غيرَ أنْ ولوا بجهلٍ، وفشلْ

وقد استهل حسان قصيدته بتذكير ابن الزبعرى بما لاقاه الكفار في غزوة بدر؛ حيث كان الفضل للمسلمين لو اتسم حكمه بالعدل، ودلائل عدالة حسان إقراره بسنة الله في خلقه فالحرب دول، فكما نال المسلمون من الكفار في بدر نال الكفار منهم في أحد، وبعد هذه التوطئة من حسان انطلق مع أحداث غزوة بدر وما صنعه المسلمون في كفار مكة علي الرغم من أنه قالها يوم أحد إلا أن الشاعر أدار غالب قصيدته حول أحداث غزوة بدر، وبإطلالة متأنية علي القصيدة يمكن القول إن الشاعر جعل قصيدته حول مجموعة من الأفكار التي تصب كلها في نهاية المطاف لتصور ما حدث في غزوة بدر، تتمثل فيما يأتي:

الفكرة الأولي: تمهيد لتذكير ابن الزبعري بما حدث في بدر، مع الإقرار بأن الدهر دول.

الفكرة الثانية: وقوف الشاعر وقفة سريعة دقيقة صور خلالها بعض المشاهد التي تبرز مدي عزيمة المسلمين في الحرب من خلال موازنة واقعية لما حدث في بدر فعزيمة المسلمين صادقة؛ لذا اتسمت بشدة البأس، ثم يرسم حسان مشهداً مما حدث للكفار في بدر حيث صور توليهم علي أعقابهم وهربهم في الشعب كالقطيع من الإبل الذي يريد أن ينجو بنفسه بعد أن تيقن أنه هالك لا محالة، ومن أسباب هربهم ما فعله المسلمون حيث تفننوا في وضع الرماح في ظهورهم مرة تلو أخري، ثم يضع حسان بين يدي القارئ حال كل فريق، حيث فريق حل به الذلة والمهانة فهو من أراذل القوم؛ ومن تداعيات ذلك أن جعلهم بني ولد استها، وآخر هم وجهاء القوم وأشرافهم فهم صبر عند البأس، ثم يستطرد متفنناً في رسم صورة جديدة تجعل كل الناس يأنفون منهم حيث جعلهم

لا يُخْرجون إلا كل كدرٍ حتى أضحوا كالإبل الثلطاء. والناظر في الصورة الأخيرة يجدها تحمل دلالة نفسية عميقة من الشاعر حيث إن هناك من الناس من يسلح عند الخوف، وهذا ما أراد الشاعر إلصاقه بهم، ومعلوم أن العربي يستنكف أن يوصف بالجبن؛ لذا فهو يفضل الموت في ساحة القتال رافعاً رأسه ولا يوصف بهذا الوصف، وإذا كان هذا هو حال العربي فما بالنا بما صنعه حسان مع الكفار حيث جمعوا الذلة والمهانة من جميع أطرافها، من خوف وفرار وسلح.

الفكرة الثالثة: وتتبني علي تصوير دقيق لما حدث في ساحة المعركة، غير أنه لم يدرها حسب تسلسل الأحداث، إذ إنه جعل عدة البيت الثامن والتاسع تعودان إلي فكرة العدد، حيث قتل المسلمون من الكفار سبعين وأسروا مثلهم؛ ولعل التوافق العددي هو الذي حدا بحسان لأن يتحدث عن القتلى والأسري في زفرة واحد، وأما التاسع فصور فيه حالة الفارين من ساحة القتال، بينما ضاق الشِّعب بالقتلى، ثم يرسم حسان مشهداً يبرز من خلاله مدي الخوف والفزع الذي حل بهم بعد انصرافهم من ساحة المعركة، إذ تدافعوا جماعات وهم مرتدون ثوب الخوف كمن يريد أن يفر من حي الجن مخافة الأذى، حتى إن من يراهم يصاب بالهول والفزع من شدة خوفهم، وأما مرد ذلك الانتصار والقتل فيرجع إلي **ثلاثة** أسباب، هي:

١- أن المسلمين رجال ليسوا كالكفار.

٢- تأييد الله (ﷻ) للمسلمين بالملائكة وعلي رأسهم جبريل.

٣- تقوي الله وطاعته، وتصديق رسله. ولعل سائلاً يسأل ما السر الذي حدا بحسان لتقديم وصف الرجال علي نزول الملائكة، وتقوي الله؟ ويمكن القول إن مرد ذلك إلي أن الشاعر بدأ أولاً بما رآه ابن الزبعري وأقر به، حيث

بالموازنة بين الفريقين نجد أنه شتان ما هما، وإذا كانت هذه أسباب النصر فإن ما تركه المسلمون لقريش صار مضرب الأمثال لانكشاف عورتهم؛ لأنهم اجتمعوا في جموع وجماعات من أجل قتال الرسول وأصحابه، غير أن المسلمين استطاعوا بتعضيد الله لهم أن يقتلوا أهل اللوي، كما قتلوا كل رءوسهم، وأبادوا كذلك سادتهم وأبطالهم وأشرافهم، وكان ذلك أكبر رد علي أبي سفيان حين أعلن يوم أحد هو ومن معه إعلاءهم لهبل.

وبنظرة متأنية حول أفكار القصيدة يمكن القول: إن الشاعر بدأ بداية هادئة يعلوها نبرة يسيطر عيها لغة الحكمة والعقل؛ ومرجع السر إلي أن حسان أراد أن يهدئ من حدة ابن الزبعري المنتشية بنصر سرعان ما تزول نشوته لو استطاع حسان تذكيره بيوم بدر، ثم انطلق من خلال الفكرة الأولي إلي بيان سريع موجز لما فعله المسلمون معهم، وبعدها بدأ موازنة بين المسلمين والكفار، ثم استرسل في بيان أشبه ما يكون بالبيان العسكري الذي يوضح من خلاله ما الذي صنعه المسلمون مع الكفار، وقد حاول الشاعر سرد العديد من أحداث غزوة بدر وكأني به يحاول وضع شريط معاد أمام ابن الزبعري من أجل الرد عليه من ناحية، ومن ناحية أخري إفساد فرحته عليه؛ لذا صب حسان تجربته في بحر الرمل ذاك البحر الذي يتسم بسرعة النطق الناتجة في توالي التفعيلة "**فاعلاتن**" عدة مرات ومن هنا فهو يشبه الرمل في المشي في تتابع الخطوات المنتظمة مع السرعة(١)؛ وفي ذلك تفسير لعدم وقوف حسان عند تفصيلات غزوة بدر فلم يكن معنياً بتفصيلاتها بقدر ما كان معنياً بسرد

(١) ينظر دراسة اشتقاقية في مصطلحات العروض والقافية د/ محمد عبد الواحد الدسوقي،١٤٢٢،١٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

أكبر عدد ممكن من أحداثها حتى يلجم ابن الزبعري، وهذا يقودنا لإلقاء الضوء علي القافية حيث أتت متداركة، وهي: "**كل قافية توالي فيها حركتان بين ساكنيها**"(١) أي ساكن ثم متحركان ثم ساكن، ولو قمنا بتقسيم القافية علي الفريقين لأخذ كل فريق منها ساكناً وحركة، وتلك إشارة من الشاعر علي أن الفريقين متعادلان ففي جعبة كل واحد منهما نصر وهزيمة، وقد عضد ذلك الحرف الذي بني عليه القافية وهو اللام، وهو حرف من حروف التوسط(٢)، و تلك صفة تقودنا للقول بأن علي ابن الزبعري أن يكون موضوعياً في حكمه، كما يقوي ذلك صدر القصيدة، والكلمة الأخيرة في البيت الأول "**لو عدل**"؛ لذا لا يحق لابن الزبعري وأمثاله أن يفتخروا بنصر يحتاج لمعركة فاصلة لتحديد المنتصر.

ولعل من اللافت للنظر أن حسان مع البداية والموازنة استعمل كلمات ذات إيقاع هادئ بينما مع وصف المعركة ركز علي الألفاظ القوية الشديدة التي تدل علي مدي إذلال المسلمين للكفار في هذا اليوم مثل: "**شددنا- فأجأناكم- شدخنا- علونا- قتلنا- تركنا- أبدنا – طعنا**" وكلها كلمات مضافة إلي نون الجمع للدلالة علي تآزر المسلمين واتحاد صفهم بينما جاء ختام حسان بما آل إليه حال الكفار وهو أنهم ولوا بجهل وفشل. ومن يمعن النظر في القصيدة يجد حسان قدم حديثه عن قضية فرار الكفار علي وقفته حول القتل والأسر الذي حل بهم، حيث إن العربي لا يضيره القتل أو الأسر كما يضار بأن يوسم بالجبن، ولنا في خالد بن الوليد الأسوة الذي قال عند موته : "**ما فيّ موضع شبر إلا**

(١) العروض الواضح وعلم القافية لمحمد علي الهاشمي، ١٤٤، الطبعة الأولي، ط: دار القلم دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(٢) ينظر عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ١٢٣.

وفيه ضربة أو طعنة، وها أنا ذا أموت كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء."([1]) وعلي هذا فإن حسان كان معنياً بتقديم كل ما يحمل إذلال الكفار وامتهانهم، خاصة وأنه كان بصدد الرد علي ابن الزبعري بعد أحد وكأني به يريد إرسال رسالة مفادها لا ذلة في القتل بل الذلة الكبرى والمهانة العظمي تكمن في الفرار من المعركة، وعد الإسلام ذلك من أكبر الكبائر.

• ومن القصائد التي قالها يوم الخندق وتعرض لتفصيلات عن يوم بدر قوله:([2])

عرفتَ ديارَ زينبَ بالكثيبِ كخطِّ الوحيِ في الرقّ القشيبِ

تعاورها الرياحُ وكلُّ جونٍ مِنَ الوَسْمِيّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ

فأمْسَى رَسْمُها خَلَقاً، وأمْسَتْ يَبَاباً بَعْدَ سَاكِنِها الحَبيبِ

فَدَعْ عَنكَ التذكّرَ كلَّ يومٍ وَرُدَّ حَرارةَ الصّدْرِ الكَئيبِ

وَخَبّرْ بالّذي لا عَيْبَ فيهِ بصدقٍ، غيرَ إخبارِ الكذوبِ

---

(١) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد معوض د. زكريا عبد المجيد النوقى د.أحمد النجولي الجمل،١٠١/٣، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية- لبنان/ بيروت، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.

(٢) الديوان تحقيق: سيد حنفي،١٣٤ وما بعدها. شرح ديوان حسان جمانة يحيي الكعكي،١٥ وما بعدها. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،٣٧٥/٧ .

بـــمَا صَـــنَعَ المَلِيـــكُ غَـــدَاةَ بَـــدْرٍ لنـــا في المـــشركينَ مـــنَ النـــصيبِ

غـــداةَ كـــأنّ جمعهـــمُ حـــراءٌ بَـــدَتْ أرْكَانُـــهُ جُنْـــحَ الغُـــرُوبِ

فَلاقَيْنَـــــاهُمُ مِنّـــــا بِجَمْـــــعٍ كَأُسْـــدِ الغـــابِ: مُـــرْدانٍ وَشِـــيبِ

أمَـــــامَ مُحَمّـــــدٍ قَـــــدْ آزَرُوهُ عَـــلى الأعْـــدَاءِ فِي لفَـــحِ الحُـــروبِ

بأيـــديهمْ صـــوارمُ مرهفـــاتٌ وكـــلُّ مجـــربٍ خـــاظي الكعـــوبِ

بنـــو الأوسِ الغطـــارفُ آزرتهـــا بَنُـــو النّجّـــارِ في الـــدّين الـــصّلِيبِ

فغادرنـــا أبـــا جهـــلٍ صريعـــاً وعتبـــةَ قـــدْ تركنـــا بـــالجبوبِ

وشـــيبةَ قـــدْ تركنـــا في رجـــالٍ ذوي حـــسبٍ، إذا نـــسبوا حـــسيبِ

ينـــــاديهمْ رســـــولُ اللهِ، لمـــــا قـــــذفناهمْ كباكـــــبَ في القليـــــبِ

ألَمْ تَجِـــدُو حـــديثي كـــانَ حَقّـــاً، وأمـــــرُ اللهِ يأخـــــذُ بـــــالقلوبِ

فَـــما نَطَقُـــوا، ولَـــو نَطَقـــوا لَقـــالوا: صَـــدَقْتَ وكُنْـــتَ ذا رَأيٍ مُـــصِيبِ

بدأ حسان قصيدته هذه بداية تختلف عن سابقتها؛ حيث قدم لها بمقدمة طللية استوعبت ثلاثة أبيات، إذ رسم لوحة فنية لديار محبوبته زينب التي غطتها الرمال بعد أن كانت علامة تنماز عن سواها كالخط الجديد في الصحيفة، ثم يستطرد في بيان ما صنعته الرياح والسحب بها حيث تسببت الأولي في تغطية الديار ثم يأتي المطر غاسلاً تلك الآثار، ويأتي البيت الثالث حاملاً النتيجة المحتومة للمشهد السابق، إذ أمسي رسمها قديماً حتى أضحت خراباً بعد ما كانت عامرة بسكني محبوبته، لكنه سرعان ما أدرك أن لا جدوى

من التذكر؛لذا جعل البيت الرابع والخامس بمثابة قنطرة للانتقال لغرضه الرئيس، حيث طلب ترك التذكر، ونسيان ما يحز في القلب من ألم وحزن، ثم يحشد تصرحاً بوجوب تحري الإخبار بالصدق من خلال احتراز لطيف حتى يتنبه المتلقي إلي عدم الاستماع لما يخبر الكذوب ولا عيب عندئذ ما دام الخبر صادقاً، ثم ينطلق بعد ذلك كالسهم لغرضه الرئيس ليصور ما صنعه المليك غداة بدر بالكفار في صورة تمثيلية رائعة، وقد صور حسان تجمع الكفار كغار حراء تبدت أركانه وقت الغروب، لكن المسلمين تجلدوا ووقفوا كالأُسْد مصطفين مابين شباب وشيوخ، وقائدهم النبي (ﷺ) حيث آزروه في مواجهة الكفار، ثم يبرز حسان قمة المآزرة من خلال إرسال كناية لطيفة يظهر من ثناياها أن وقوف المسلمين إلي جوار رسول رب العالمين قد بلغ قمته عند اشتداد الحروب حيث لم يكونوا في الصفوف الخلفية وإنما كانوا من السابقين لدرجة أنهم أضحوا أمام النبي وليس خلفه، وكأنه يرسل رسالة للكفار مفادها: إذا كان هذا هو حال المسلمين في مؤازرة الرسول في وقت الشدة فهي في وقت الرخاء ألزم، ثم يستطرد في تفصيل أنواع الأسلحة التي بين أيدي المسلمين مع وصف دقيق لطبيعتها؛ فهي أسلحة مجرّبة وصوارمهم بتارة تكاد تقطع الهواء، زد علي ذلك أن كنانتهم مليئة بالسهام، ويُستشف من ذلك أن المسلمين قد أحكموا استعدادهم لملاقة قريش، ولم ينس حسان في خضم وصفه لغزوة بدر دور الأنصار علي اختلاف بطونهم من الأوس والخزرج الذين منهم حسان، وقد اتسم حديث حسان عن الأوس والخزرج إلي الإلماح إلي أنهم اجتمعوا تحت مظلة الدين الجديد في إشارة إلي الصلح الذي أقامه الرسول بين الأوس والخزرج عقب وصوله المدينة المنورة، وكأن حسان يريد أن يغلق علي الكفار أي فكر ربما ينجرف إلي محاولة الإيقاع بينهما فقد أضحوا بعد الصلح

والدخول في الدين الجديد نسيجاً واحداً، كما أن هذا البيت يعد من متممات المؤازرة بين المسلمين بعضهم البعض، ثم انطلق بعد ها انطلاقة أخري أشبه ما تكون ببيان حربي يعدد المنتصر فيه خسائر عدوه وخاصة من القتلى حيث طوف حول أهم الشخصيات منها علي سبيل المثال لا الحصر: أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، مهد بعدها للختام باستفهام تقريري أجراه علي لسان النبي (ﷺ) يطلب فيه من المشركين الإقرار بصدقه، ثم يأخذ حسان الحجة علي الكفار من خلال بيان أن أمر الله يأخذ بمجامع القلوب وفي ذلك تصديق لقوله تعالي: ﴿ ....فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾(١)

وذلك أدعي لطرحهم كما تطرح الجيف في مكان واحد يسمي القليب، ثم يناديهم الرسول قائلاً: "**هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، أما أنا فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقيل له: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جَيَّفُوا، فقال: "ما أنتم بأسمعَ منهم ولكن لا يجيبون**"(٢) حيث لا ناطق منهم ولو قدر الله نطقهم لصدّقوا الرسول وقتئذ ولأقروا بصواب رأيه، ولكن أني لهم ذلك فقد ذهب أمس بما فيه.

وبالنظر إلي هذه القصيدة وسابقتها يمكن القول إن هناك مجموعة من الفوارق ترجع إلي عاطفة الشاعر، ففي الأولي العاطفة حزينة متوهجة متوترة؛ لأن الشاعر قال قصيدته عقب انهزام المسلمين في أحد من أجل الرد علي عبد الله بن الزبعري؛ لذا صدّر لاميته بإقراره بأن هذه سنة الله في خلقه وأن الحرب دول، بينما بدأ البائية بالوقوف علي الأطلال الزائلة، وجرد من نفسه

(١) سورة الحج آية "٤٦".

(٢) الديوان تحقيق: د/ سيد حنفي، ١٣٥ وما بعدها.

شخصاً يتحدث إليه، وهو بذلك يكون قد جري علي سنن شعراء العصر الجاهلي، حيث اعتادوا علي تصدير غالب قصائدهم بالبكاء علي الأطلال ومخاطبة الصحب أو تجريد نفسه شخصاً يخاطبه كما فعل حسان. ولم يتعرض لبيان أسماء قتلي قريش في الأولي، وإنما بين عددهم بالإضافة لعدد الأسري، في حين اهتم في الثانية بذكر أسماء بعضهم مع وصف يبين مدي التنكيل بهم، كما اتسمت الأولي باشتمالها علي العديد من الألفاظ القوية.

واتسمت كذلك ببيان مكثف للعديد من أحداث غزوة بدر، كما وقف عند أسباب النصر وفي ذلك إشارة إلي أن النصر تخلي عن المسلمين لما تخلي المسلمون عن أسبابه، بينما استعرض في الثانية قوة المسلمين مع بيان لتسليحهم.

ولم يتطرق لذكر الأنصار في الأولي في حين ذكر في الأخرى الأوس والخزرج. كما لم ينس أن يهجو الكفار في اللامية؛ لأنه كان بصدد الرد علي ابن الزبعري بينما خلت البائية من هجائهم؛ ومرجع ذلك إلي مناسبة القصيدة، وإلي العاطفة التي جادت بهما ففي الأولي العاطفة مكلومة مما حدث للمسلمين في أحد بينما في البائية نجد العاطفة منتشية بالنصر خاصة وأن غزوة بدر تعد المعركة الأكبر آنذاك.

وبعد فقد وضعتُ القصدتين فيما قاله حسان بعد غزوة بدر، الأولي قالها بعد أحد للرد علي ابن الزبعري والأخرى قالها يوم الخندق علي حد زعم محقق الديوان(١) وبالنظر للأولي نجدها قيلت يوم أحد للرد علي ابن الزبعري، بينما الثانية كونها يوم الخندق هذا أمر فيه نظر إذ لم تتضمن القصيدة ما يشي بأنها

(١) الديوان تحقيق د/ سيد حنفي، ١٣٤.

قيلت يوم الخندق لا تصريحاً ولا تلميحاً، كما أن بقية نسخ الديوان لم تقل بهذا الأمر، وهناك من عنون للقصيدة ب "جمع كأسد الغاب"(١) كما أن كتب التفسير والتاريخ أثبتوها وهم بصدد الحديث عن غزوة بدر(٢) ولم يشيروا إلي كونها قيلت في غزوة الخندق.

• ومما قاله وهجا فيه عمرو بن عبد ود يوم الخندق وتعرض فيه لأهل بدر من المسلمين قوله:(٣)

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ ثاوياً... بِجَنُوبِ يَثْرِبَ ثَأْرَهُ لَمْ يُنْظَرِ

وَلَقَدْ وَجَدْتَ سُيُوفَنَا مَشْهُورَةً... وَلَقَدْ وَجَدْتَ جِيَادَنَا لَمْ تُقْصَرِ

وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَدْرٍ عُصْبَةً... ضَرَبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الْخُسّرِ

أَصْبَحْت لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ...يَا عَمْرُو أَوْ لِجَسِيمِ أَمْرٍ مُنْكَرِ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،١٢، ط: دار صادر بيروت لبنان. شرح ديوان حسان بن ثابت تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي،١٤، ط: المكتبة التجارية الكبري١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا،٣٨٥/٢، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، ٣٧٥/٧، نشر:دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٣) الديوان تحقيق: سيد حنفي،٣٠٦. ينظر سيرة ابن هشام ٢٦٨/٢.

بدأ حسان مقطوعته ببيان الحالة التي أمسي عليها عمرو بن عبد ود مع تحديد دقيق للمكان الذي ثوي فيه، بالإضافة إلي أن ثأره لم يُنظر؛ ولهذا الأمر مرشحات أوجزها حسان من خلال مجموعة من الكنايات التي تدل علي استعداد المسلمين لخوض غمار الحرب بين عشية وضحاها وتتمثل في: السيوف المشهورة، والجياد التي لا تقصير من جانبها،وعصبة تضرب ضرباً، وقد تعانقت الأسباب السابقة وكانت النتيجة أن ضربوك ضرباً ليس كالضرب الذي وُجّه للحاسرين دروعهم، وكان من تداعيات المشاهد السابقة أن أصبح عمرو لا يدعي ليوم يستطيع المحارب الشجاع أن يسطر لنفسه تاريخاً، أو حتى مجرد الدعوة لأمر جسيم.

وبالنظر للمقطوعة السابقة يمكن قول الآتي:

أولاً: هناك تمازج وتآلف بين البيت الأول والأخير، وذلك من وجوه تكمن فيما يلي:

أ: استطاع حسان بقدرة فائقة فلسفة فعلين يصور كل واحد منهما زمناً يختلف عن الآخر تصويراً يجسد زمناً قد ولي، وزمناً آتٍ؛ الفعل الأول، هو: "أمسي" ذاك الذي استطاع من خلاله تصوير ما لاقاه عمرو بن عبد ود في غزوة الخندق حيث ثوي صريعاً لا حراك به، وكان قبل ذلك قد أصيب وضرب ضرباً ليس باليسير في بدر، وكان من تداعيات ذلك أن أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً(١) وأما الفعل الثاني فهو"أصبح" حيث سطر من خلاله مستقبلا لا فكاك منه، لأنه أصبح أثراً بعد عين.

(١) ينظر تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ٢٣٨/٥، دار النشر: دار الفكر – بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

ب: كرر حسان اسم عمرو بن عبد ود مرتين؛ ذكر في الأولي اسمه كاملاً، في حين اكتفي في الأخرى باسمه من دون نسبه، وكأنه أراد في الأولي تحديد المُتَحَدث عنه حتى لا يحدث لبس بينه وبين غيره أما و قد زال اللبس فلا حاجة لنسبه، هذا من ناحية وأما الأخرى فقد أراد تأكيد أن الذي هوي صريعاً هو ذاك الذي عناه دون غيره إذ ربما استبعد البعض حدوث ما حدث مع فارس مغوار كعمرو بن عبد ود.

ثانياً: أقام حسان مقطوعته علي العديد من الجمل الخبرية المؤكدة التي استعمل معها اللام وقد وخاصة مع وصفه للسيوف والجياد وجيش المسلمين، أما مع بيان ضرب المسلمين لعمرو فجاء بالمفعول المطلق المؤكد لعامله، وقد تعانقت كل هذه المؤكدات لتأكيد حقيقة واحدة مؤدها ضرب عمرو ضرباً غير مبرح لم يمكنه من القتال يوم أحد، وقتله يوم الخندق.

ثالثاً: لم يلج حسان للحديث عن بدر من أول المقطوعة علي الرغم من قصرها، حيث بدأ بالحديث عن مصير عمرو بن عبد ود في يوم الخندق، ثم تسلل من ذلك الحديث للافتخار بجيش المسلمين وما صنعوه مع عمرو في بدر.

رابعاً: بني حسان مقطوعته علي حرف الروي الراء، ومن معانيه التكرار وفي ذلك تآزر وتناغم مع تكرار ما حدث لابن عبد ود من إصابة في بدر، ثم قتل في يوم الخندق، وقد ظهر ذلك جلياً في البيت الثالث الذي كررت فيه الراء ست مرات، خاصة وأن هذا البيت تضمن تصوير الضرب الذي لحق ابن ود.

خامساً: بدا من خلال المقطوعة السابقة مدي دقة الشاعر في استعمال الألفاظ حسب معانيها من ذلك كلمة عصبة "**و العصبة العشرة وما فوقها قليلا ومنه قوله (ﷻ) "ونحن عصبة" "وقيل هي من العشرة إلى الأربعين، وهي في**

العربية الجماعة من الفرسان"([1]) ويمكن القول من بيان معني عصبة إن المعني يدور حول أمرين الأول علي معني عشرة يكونوا هم الذين ضربوا ابن ود فلا يعقل أن يضربه العد الأكبر، وعلي معني الفرسان يكون أن الفرسان هم الذين تولوا مهمة ضرب ابن ود في بدر. ومن ذلك أيضاً كلمة سلع؛ وهو الجبل الذي حفر تحته الخندق وفيه كان مصرع عمرو بن ود كما بيّن حسان.

سادساً: استعمل حسان في البيت الثاني نون الجمع في كلمتي "**سيوفنا، وجيادنا**" بينما استعمل كاف الخطاب مع ضرب عمرو بن عبد ود وفي ذلك إشارة منه علي أنه لم يكن من المحاربين الذين باشروا ضرب ابن ود، وأما نون الجمع التي يدخل فيها فيمكن عزو ذلك إلي أن المسلمين يداً واحدة؛ منهم من نافح عن الدعوة باللسان، ومنهم من دافع عنها بالسنان فلكل دوره الذي نيط به.

وإذا كان غالب شعر حسان الذي تناول فيه غزوة بدر قد أخلصه لها إلا أنه جاد بقصيدة تناول فيها العديد من أيام الأنصار مع النبي (ﷺ)؛ ولذا فهي أشبه ما تكون بمرجع من مراجع التاريخ التي أرخ فيها لغزوات المسلمين وأيامهم، حيث قال:([2])

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا... وَمَعْشَرًا إِنْ هُمْ عَمُّوا وَإِنْ حُصِلُوا

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم،٢٧٨،نشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر

(٢) الديوان، تحقيق: سيد حنفي،٣٩٤وما بعدها. سيرة ابن هشام،٢/٥٥٤ وما بعدها. وتروي لابنه عبد الرحمن بن حسان.

قَـوْمٌ هُمْ شَهِـدُوا بَدْرًا بِأَجْمَـعِـهِـمْ...مَـعَ الرَّسُـولِ فَمَا أَلَـوْا وَمَـا خَـذَلُـوا
وَبَـايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُـثْ بِهِ أَحَـــدٌ... مِـنْهُـمْ وَلَـمْ يَـكُ فِي إِيمَانِهِـمْ دَخَـلُ
وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ.. ضَـرْبٌ رَصِـينٌ كَـحَرِّ الـنَّارِ مُشْتَـعِلُ
وَيَـوْمَ ذِي قَـرَدٍ يَـوْمَ اسْـتَثَارَ بِـهِـمْ...عَـلَى الْجِـيَادِ فَمَا خَـامُوا وَمَـا نَكَـلُـوا
وَذَا الْعَشِـيرَةِ جَـاسُوهَا بِخَـيْلِـهِـمْ...مَـعَ الرَّسُـولِ عَلَـيْهَـا الْبَيْـضُ وَالْأَسَـلُ
وَيَـوْمَ وَدَّانَ أَجْـلَـوْا أَهْـلَهُ رَقَصًـا... بِالْخَيْـلِ حَـتَّى نَهَـانَـا الْحُـزْنُ وَالْجَبَـلُ
وَلَيْـلَةً طَـلَبُـوا فِيـهَـا عَـدُوَّهُـمْ... للهِ وَاللهُ يَجْـزِيهِـمْ بِـمَـا عَـمِـلُـوا
وَغَـزْوَةً يَـوْمَ نَجْـدٍ ثُـمَّ كَـانَ لَهُـمْ... مَـعَ الرَّسُولِ بِهَـا الْأَسْـلَابُ وَالـنَّفَـلُ
وَلَيْـلَةً بِحُـنَـيْنٍ جَـالَـدُوا مَـعَـهُ... فِـيـهَـا يَعُـلُّهُـمْ بِالْحَـرْبِ إِذْ نَـهِـلُـوا
وَغَـزْوَةَ الْقَـاعِ فَرَّقْنَـا الْـعَدُوَّ بِـهِ...كَـمَـا تُـفَـرَّقُ دُونَ الْمُشْرَبِ الـرَّسَـلُ
وَيَـوْمَ بُـوِيـعَ كَـانُـوا أَهْـلَ بَيْـعَـتِهِ... عَـلَى الْجِـلَادِ فَـآسَـوْهُ وَمَـا عَـدَلُـوا
وَغَـزْوَةَ الْفَتْحِ كَـانُـوا فِي سَرِيَّـتِـهِ...مُـرَابِـطِـينَ فَمَا طَـاشُـوا وَمَـا عَـجِلُـوا
وَيَـوْمَ خَيْـبَرَ كَـانُـوا فِي كَـتِيبَـتِهِ...يَـمْـشُـونَ كُـلُّـهُـمْ مُسْـتَبْسِـلٌ بَـطَـلُ
بِالْبِيضِ تَرْعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَـارِيَـةً.. تَعْـوَجُّ فِي الـضَّرْبِ أَحْـيَـانًا وَتَـعْـتَـدِلُ
وَيَـوْمَ سَـارَ رَسُـولُ اللَّـهِ مُحْتَسِبًا... إِلَى تَـبُـوكَ وَهُـــــمْ رَايَـاتُـهُ الْأُوَلُ
وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ...حَتَّى بَـدَا لَهُمْ الْإِقْـبَـالُ وَالْـقَـفَـلُ
أُولَـئِكَ الْقَـوْمُ أَنْصَـارُ النَّبِيِّ وَهُمْ... قَـوْمِـي أَصِيرُ إِلَـيْـهِمْ حَيْثَ أَتَّـصِلُ

مَـاتُوا كِـرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمْ... وَقَـتْـلُـهُـمْ فِي سَبِـيلِ اللهِ إِذْ قُـتِـلُـوا

يستفتح حسان قصيدته باستفهام تقريري مفـاده أنـه خيـر قبيلـة معـد، واستهلال القصيدة بهذا النمط من الاستفهام يجعل المتلقي يقبل عليه بكل خوالجه خاصة أنه لم يفضل شخصاً غائباً، وإنما أرجع الخيرية له، لكنه لم يكن يقـصد الاستئثار بذاك الفضل وحده وإنما أرد تفضيل الأنصار من خلاله، ويقوي هـذا المذهب ما جاد به من سرد دقيق، وتعداد رائع لأيام الأنصار مع النبـي (ﷺ)، صدرها بأهم غزوة في صدر الإسلام، هي غزوة بدر الكبرى، ثم يثنّي بعد كـل غزوة بذكر لفتة سريعة عنها، فذكر في بدر أن قومه لـم يخـذلوا النبـي ولـم يقصروا، وهذا ما بايعوا عليه النبي في يوم العقبة؛ لذا لم ينكث أحد منهم، ولـم يدخل فساد أو شك في إيمانهم، حتى يوم أن انهزم المسلمون يوم أحد لم يتخلوا، كما لم يجبنوا يوم ذي قرد([1]) ثم يصرح حسان بأن عشيرته كانوا من الملازمين للرسول بخيلهم وسيوفهم ورماحهم، و يواصل حسان عـدم التزامـه بالترتيـب الزمني حيث يعود بالذاكرة إلي يوم ودّان([2]) وما صنعه الجنـود مـن تبختـر

(١) غزوة ذي قرد أو غزوة الغابة وقعت في السنة السادسة للهجرة بين ٥٠٠ إلى ٧٠٠ من قوات المسلمين بقيادة النبي (ﷺ)، طاردوا خلالها ٤٠ راكباً وعيينة بن حصن الفـزاري مع جماعة من غطفان، الذين أغاروا على لقاح (حوامل الإبل ذات اللبن). ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٣/٤٠٠ وما بعدها.

(٢) وهي أول غزواته (ﷺ)، قال ابن إسحاق حتى بلغ ودان وهي غزوة الأبواء يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعـه منهم عليهم مخشى بن عمرو الضمري وكان سيدهم في زمانه ذلك ثم رجع رسـول الله (ﷺ) إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول. ينظـر سيرة ابن هشام،١/٥٩١.

بخيلهم، ثم يسير علي الدرب نفسه الذي بدأه من سرد لغزوات النبي مع إلماحة سريعة لموقف الأنصار في كل غزوة، حيث يقف مع غزوة نجد، ثم يعرّج علي ليلة حنين، يتلوها غزوة القاع، يردفها بعد ذلك بيوم البيعة، ويعقبه بالحديث عن يوم الفتح، وما تلاه بما حدث يوم خيبر، ثم يأتي ختام الأيام بأخر غزوات النبي، وهي غزوة تبوك، بعدها يختتم حسان قصديته بإرسال بعض الأحكام الملازمة للأنصار، ومرجعها يعود للأيام التي أطرها لهم مع النبي (ﷺ)؛ ولذا فهم ساسة الحرب، وهم الذين نصروه، كما ماتوا كراماً، ولم ينكثوا عهودهم، وأما من مات ففي سبيل الله.

وبنظرة متأملة متأنية يمكن القول:

أولاً: أقام حسان قصيدته علي مجموعة من الدعائم، هي: أيام الأنصار مع الرسول، ثم تتسلل من خلالها ليجعلها دعامة في الافتخار بهم، كما لم ينس أن يجعل لنفسه نصيباً من هذا المدح.

ثانياً: بدأ قصيدته باستفهام تقريري لتصوير خيريته، في حين جعل الختام أشبه ما يكون بسرد لأسباب الخيرية تخلل بينهما مسرد تاريخي لأيام الأنصار مع النبي مع إطلالة سريعة عن كل يوم، وتلك إضاءات حتى تكون متكأ وركناً لم رام إليه من أحكام في ختام القصيدة؛ لذا عمد إلي العديد من ألفاظ التوكيد سداً لأبواب الريبة التي قد تدخل بعض النفوس بسب الأحكام التي ساقها، مثل: كل، وأجمع، ومن الملحوظ أن حسان مع تفضيل نفسه استعمل لفظ كل التي هي أقوي في التوكيد من أجمع؛ لأنه كان بصدد الحديث عن نفسه من أجل ذلك شدد علي الخيرية من خلال كلمة كل؛ حتى لا يتشكك أحد، ولم يكتف بذلك بل عمد إلي ذكر كلمة النفر والمعشر عقب كلٍ إيغالاً منه في زيادة التوكيد، بينما مع الجمع استخدم أجمع التي تلي كل في قوة التأكيد؛ فلم يشكك أحد في شهود

الأنصار بدراً مع رسول الله، تلا ذلك توكيد ثالث في البيت الثالث، لكنه توكيد ضمني عن طريق كلمة أحد التي تؤكد علي مبايعة الأنصار للرسول و عدم نكوثهم العهد

ثالثاً: أنشأ حسان القصيدة السابقة لبيان دور الأنصار في بناء الدولة الإسلامية، ومن اللافت للنظر عدم تعرضه للمهاجرين، وكأني به يحاول من خلالها تسطير سجل الأنصار، وبيان دورهم في بناء الدولة الإسلامية، ولا يعني ذلك إغفال المهاجرين ودورهم فقد وقف معهم غير موقف ولكن في قصائد أخري.

رابعاً: تفنن حسان في إبراز جانب المعية مع رسول الله (ﷺ) ففي كل مرة يذكر اسم الرسول يأتي به مقروناً بالأنصار أو بما يعود عليهم، مثل: "**قوم هم شهدوا بدراً...مع الرسول**"، و"وذا العشيرة...مع الرسول"، و"**كان لهم مع الرسول**"، و"**ويوم سار رسول الله...وهم راياته الأول**"، و"**أولئك القوم أنصار النبي هم قومي**"، واللافت للنظر في تلك المعية أن حسان ذكر كلمة "**مع الرسول**" ثلاث مرات كلها في صدر الشطر الثاني، وفي ذلك إشارة إلي عدم تزعزعها وثباتها وتمكنها من نفس أصحابها، وهذه المعية تحمل عدة دلالات تتمثل في:

أ: إبراز مدي قرب الأنصار من الرسول.

ب: ملازمة الأنصار للرسول في كل غزواته حتى التي كانت خارج المدينة.

ج: حب الرسول للأنصار وإنزالهم منزلة كبيرة دعته لأن يجعلهم يلازمونه في حله وترحاله.

د: من الثابت أن المؤمن يتلذذ بذكر اسم الرسول فماذا لو كان ذلك مقروناً بالمعية والصحبة؟.

خامساً: لم يلتزم حسان الترتيب التاريخي لمواقف الأنصار مع الرسول، وإنما كان يستدعي الموقف الذي يساعده في خدمة فكرته، وتلك ألمعية فائقة لشاعر كحسان، وبالنظر، نجده تحدث عن بدر وشهود قومه لها ثم وقف عند مبايعة الأنصار للرسول في مكة، عاد بعدها للحديث عن غزوة أحد وما حدث فيها، وكأن حسان يريد من خلال هذا الترتيب تذكير الأنصار بما بايعوا عليه النبي خاصة وهم منهزمون؛ لذا ذكر البيعة وعدم نكوث أحد منهم بعد نصر وقبل هزيمة؛ حتى يتجلد الأنصار ولا يفكر واحد منهم في نقض ما عاهد عليه الرسول.

سادساً: اتكأ حسان في سرده للغزوات عن طريق ذكر كلمة يوم، أو ليلة، أو غزوة، وقد ذكر كلمة يوم ست مرات، وليلة مرتين، وغزوة ثلاث مرات، وبالنظر إلي هذا التنويع يمكن القول: إن حسان عمد إليه مخافة ملالة القارئ خاصة وأن الغزوة الواحدة كانت تستوعب بيتاً واحداً ليس أكثر، ومن جهة أخري نجد غلبة التعبير بما يدل علي الزمن من حيث كلمة يوم وليلة وذلك يدل علي أن حسان كان يقصد استدعاء الغزوة بكل ما فيها من أحداث فعندما يقول "ويوم..." فكأنه يريد القول اذكر يوم غزوة كذا وما حدث فيه من أوله حتى آخره.

سابعاً: ألح حسان علي قضية عدم نكوث الأنصار عهدهم مع الرسول (ﷺ) حيث تعرض لها في البيت الثالث والبيت الأخير، وذاك ترتيب وتكرار مقصود منه ولم يأت خبط عشواء، حيث تحدث عن عدم نكوث العهد عقب بدر والمبايعة وقبل غزوة أحد، وكأنه يريد أن ينفي عن الأنصار شبهة عزو

سبب الهزيمة لهم في أحد؛ لذا أعقبه بنفي دخول أي شك في إيمانهم، بينما ختم القصيدة بالحديث عن القضية ذاتها، حتى يستقر في ذهن المتلقي ثبات الأنصار علي العهد وأن موتهم في سبيل الله هو مبتغاهم وغايتهم الأسمى.

ثامناً: سرد حسان كل الأيام والليالي في الشطر الأول من البيت الذي أطر فيه لكل غزوة باستثناء غزوة تبوك التي ختم بها غزوات النبي (ﷺ) حيث ذكرها في الشطر الثاني، ويقودنا ذلك الترتيب إلي القول بأن حسان لم يقل تلك القصيدة إلا بعد وفاة الرسول فناسب ذلك مجيء غزوة تبوك في الشطر الثاني التي هي أخر غزواته (ﷺ)، وكأني بحسان يعدد تاريخاً مضي مع الرسول، وذلك أشبه ما يكون ببكاء علي أيام خوال، وفي ذلك تعضيد للقول بأن كلام حسان هذا بعد وفاة الرسول.

تاسعاً: من يمعن النظر في هذه اللامية يجد حسان قد تأثر فيها بالعديد من سور القرآن الكريم خاصة تلك السور التي تحدثت عن أخبار الأمم السابقة في عرض تاريخي موجز، حيث تأتي القصة الواحدة في آية واحدة تقريباً، وهذا ما نجده في لامية شاعرنا، إذ تستوعب الغزوة الواحدة بيتاً واحداً، ففي سورة العنكبوت تحدث المولي (ﷻ) عن قصة مدين وعاد وقارون وفرعون في أربع آيات(١)، وفي سورة الذاريات وقف الحق (ﷻ) عند قصص موسي، وثمود، ونوح (عليهم السلام) في تسع آيات قصار(٢)، كما وقف الحق جل وعلا مع قصص نوح (عليه السلام)، في آية واحدة في سورة الفرقان، تلا ذلك الحديث عن عاد وثمود

(١) الآيات "٣٦- ٣٧- ٣٨- ٣٩".

(٢) الآيات "٣٨-٤٦".

وأصحاب الرس وقرون بينهما في آية واحدة.([1]) ومن خلال هذه الوقفة يمكن القول إن تأثر حسان بدا واضحاً بالقرآن الكريم في كيفية سرد أيام المسلمين في حديث موجز يتسم بالروعة والدقة. كما تأثر بكيفية سرد القرآن من ناحية أخرى؛ وهي عدم الالتزام بالترتيب الزمني.

عاشراً: استطاع حسان بحسه المرهف وذوقه العالي من نثر بعض الصور البيانية؛ حتى لا يشعر القارئ أنه إزاء قصيدة تاريخية صرفه، ومن ذلك ما رسمه عن غزوة أحد حيث صور المسلمين في صبيحة يوم أحد ومدي تجلدهم وصبرهم علي ضرب رصين أشبه ما يكون بحر النار المشتعلة، وتتجلي براعة حسان في هذا المشهد من حيث قلب الصورة؛ لأن المسلمين منهزمون فأني له الوقوف عند يوم كهذا، لكنه وقف عند تجلد المسلمين وصبرهم من ناحية، ومن الجهة الأخرى أكد علي هول ما لاقاه المسلمون في هذا اليوم.ومن ذلك أيضاً ما صور به حال المسلمين يوم ودّان عندما أجلوا أهلها، حيث صور احتفالهم وتبخترهم بالرَقص؛ وهو نوع من المشي. ثم يرسل حسان مشهد يوم غزوة القاع وما حدث فيها من تفرق للعدو حيث جعل تفرقهم أشبه بتفرق الإبل التي تسعي بحثاً عن المشرب من أجل النجاة من الموت عطشاً ولكن أني لهم، فلا مشرب ولا نجاة.

وبعد تلك التطوافة حول شعر حسان الذي قاله بعد غزوة بدر وتعرض فيه لتلك الغزوة يمكن القول إن هناك مجموعة من السمات التي جمعت ذاك الشعر تحت مظلة واحدة تتمثل فيما يأتي:

أولاً: اتسم هذا الشعر بالطول إذا ما قيس بنظيريه حيث بلغت أطول قصيدة إحدى وعشرون بيتاً بينما جاء الشعر في زمن الغزوة ما بين المقطوعة أو ما

(١) الآيتان "٣٧-٣٨".

يربو عن القصيدة بيسير، وظل يتقلص حتى وصل في بعض الأحيان إلي بيــت واحد، في حين جاء الرد علي الكفار من خلال المقطوعات الشعرية.

ثانياً: حمل هذا النوع من الشعر بعض المقدمات الطللية حيث لــم يهجــم حسان علي موضوعه دون تمهيد.

ثالثاً: لم يقتصر ذاك الشعر علي حدث واحد وإنما تعددت أفكاره ومحاوره، ولم يكن حسان يلج في موضوعه مباشرة كما كان في النمطين السابقين.

رابعاً: اهتم حسان بإبراز دور الأنصار في الحروب التي خاضــوها مــع النبي (ﷺ).

الخاتمة

وبعد تلك السياحة مع شعر حسان حول غزوة بدر يمكن القول:

أولاً: وضح جلياً من شعر غزوة بدر لدي حسان أنه غض الطرف عن بعض أحداث الغزوة؛ تلك الأحداث التي يعد ذكرها سبباً في ارتفاع الروح المعنوية للكفار، ومن هنا يمكن القول إن حسان صوب نظره تجاه كل حدث يؤدي ذكره إلي امتعاض الكفار وحزنهم علي ما لاقوه، وعلي هذا فإن وقوف حسان عند قافلة أبي سفيان يصب في مصلحة الكفار لا المسلمين، كما أن ما دار بين المسلمين حول الأنفال وتوزيعها لا يفت في عضد الكفار، وإنما الذي يقود إلي ذلك هو كمية الغنائم.

ثانياً: استطاع حسان بذوقه المرهف وحسه الجياش تصوير العديد من أحداث غزوة بدر؛ وجاء تصويره مشدوداً بخيطين؛ خيط مصوب تجاه الكفار، حيث ركز علي كل حدث يُعد ذكره إذلالاً لهم، والخيط الآخر وجهه نحو المسلمين إذ اهتم برصد كل ما فيه إعلاء لروح المسلمين وطمأنتهم علي نصرهم.

ثالثاً: خلا شعر حسان من المقدمات اللهم إلا ندر حيث اعتاد الدخول في موضوعه مباشرة، وربما رجع السر في ذلك إلي أن غالب شعره يقوم علي المقطوعات، كما أن المحرك الأساسي يتمثل في الجانب الحماسي الذي غلب عليه.

رابعاً: لعل من اللافت للنظر عدم تعرض حسان لكثير من شهداء المسلمين كما وقف مع قتلي الكفار، ومرد ذلك إلي أن ذكر شهداء المسلمين يعد شهادة مصكوكة للكفار بأنهم تغلبوا علي المسلمين في بعض الجوانب، في حين جاء

الجانب الآخر مضيئاً بالنسبة للمسلمين حيث ركز علي ما فعله المسلمون بالكفار وخاصة في أكابرهم.

خامساً: بدا ميل شاعر الدعوة الإسلامية في كثير من شعره الذي قاله عن بدر تجاه الأنصار ومحاباته إياهم، وعلي هذا فمن يقرأ مثل هذا الشعر يتبدي له أن قائله من الأنصار بل من بني النجار.

سادساً: من سمات شعر حسان أنه يصدر المقطوعة بحكم يُشعر الكفار بالامتهان والإذلال ثم يمعن في تعضيد كلامه بالدليل القاطع من خلال سرد بعض أحداث الغزوة.

سابعاً: استعان شاعرنا بالأساليب الخبرية المؤكدة في إصدار العديد من الأحكام، وكان من دعائمه في ذلك اللام وقد.

ثامناً: اتسم شعر حسان بالدقة حيث كان يذكر الحدث مقروناً باسم صاحبه، كما كان ينبه-أحياناً- علي الترتيب الزمني.

تاسعاً: من يطالع شعر حسان حول غزوة بدر يجد تآلفاً وتآزراً شديدين بين المقدمة والخاتمة، حيث يلحظ أن المقدمة تسوق حكماً ثم تأتي الخاتمة بما يعضد الحكم ويقويه؛ حتى لا يخرج القارئ من القصيدة إلا وقد اندفعت كل الشكوك عن نفسه بما قاله الشاعر.

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

سورة هود آية رقم: ٨٨

المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر:

• تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، وما بعدها الطبعة: الأولى، ط: دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

• الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر، تحقيق: الدكتور: شوقي ضيف، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

• ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ط: دار صادر بيروت لبنان. شرح ديوان حسان بن ثابت تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ط: المكتبة التجارية الكبري١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

• ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د/ سيد حنفي حسنين، تقديم: د/ عبد الحكيم راضي، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٨م.

• سيرة ابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

• السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ٢١٣هـ،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، نشر: دار الجيل١٤١١هـ.

• شرح ديوان حسان بن ثابت، شرح وتحقيق: جمانة يحيي الكعكي، الطبعة الأولي، ط: دار الفكر بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.

• الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة: الثانية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ.

- ثانياً: المراجع:

• أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة،١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

• أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

• إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لمغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م.

• الأنوار ومحاسن الأشعار لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي (المتوفى: ٣٧٧هـ).

• تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، وما بعدها الطبعة: الأولى، ط: دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

• تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر – بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

• تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض د. زكريا عبد المجيد النوقى د. أحمد النجولي الجمل، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

• التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، الطبعة: الأولى دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، ١٩٩٧/١٩٩٨م.

• الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى، ط: دار الفكر،١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

• الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

• الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، نشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

• دراسة اشتقاقية في مصطلحات العروض والقافية، د/ محمد عبد الواحد الدسوقي،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

• ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (المتوفى:٥٤٥) اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

• الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) تحقق: عمر عبد السلام السلامي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

• السيرة النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث لعَلي محمد الصَّلاَّبي، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

• العروض الواضح وعلم القافية لمحمد علي الهاشمي، الطبعة الأولي، ط: دار القلم دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

• عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز أحمد علام، الطبعة الأولي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

• غزوات الرسول (ﷺ) دروس وعبر وفوائد تأليف الدكتور/ علي محمد الصلابي، أعده للنشر: قاسم إبراهيم عبد الله، الطبعة الأولي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

• الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، نشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

• اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩هـ –١٩٩٨ م.

• المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• المغازي لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس، نشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣١٣
غزوة بدر في شعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه)	٣١٦
أولاً: ما قاله حسان عن بدر في زمن الغزوة	٣١٦
ثانياً: ما قاله حسان في الرد علي شعراء الكفار وتعرض لما حدث في بدر	٣٤٤
ثالثاً: ما قاله حسان بعد بدر	٣٥٣
الخاتمة	٣٧٦
المصادر والمراجع	٣٧٨
فهرس الموضوعات	٣٨٢